

# مجلة الصحافة

العدد (38) | السنة التاسعة | صيف 2025

الصحافة  
الثقافية..  
نضالات التحرر  
والتغيير



معهد  
الجزيرة للإعلام

# محتويات العدد

48...

نجونا.. وبقينا على  
قيد الحياة!  
يمنى السيد

06...

الثقافة والتلفزيون.. بين رهانات  
التنوير ودكتاتورية نسبة المشاهدة  
ياسين عدنان

54...

آليات التكامل بين الدعاية العسكرية  
والعمليات الميدانية ضد الصحفيين  
الفلسطينيين في غزة  
إبراهيم زياد الحاج

12...

تداعي الصحافة الثقافية..  
أعمق من مجرد أزمة!  
هشام البستاني

62...

جندي برتبة مراسل أو صحافة على  
مقاس الجيش الإسرائيلي  
سجود عوايص

20...

المحتوى الثقافي على المنصات الرقمية..  
من النخبوية إلى الجمهور الواسع  
تسنيم ذهب

68...

حجب المعلومات الضارة  
قد يكون ضاراً  
إيليا توبر

24...

الصحافة الثقافية التي لا  
تنفصل عن محيطها  
سعيد خطيبي

74...

تدقيق المعلومات والذكاء  
الاصطناعي والشراكة «الحدرة»  
خالد عطية

30...

الصحافة والنقد الثقافي.. التاريخ من منظور  
ضحاياه لا من وجهة نظر جلاديه  
عبد العزيز العمراني

82...

فضاء القراء:  
هل الصحافة تنتمي إلى  
العلوم الاجتماعية؟  
محمد مستعد

36...

لماذا ضعفت الصحافة الثقافية  
العربية في الألفية الثالثة؟  
فخري صالح

42...

الصحافة الثقافية.. تاريخ المجتمع  
والسلطة والتحويلات الكبرى  
علاء خالد

# هل تحيي المنصات الرقمية الصحافة الثقافية؟

والمدافعين عن الثقافات الشعبية، غير أن هذه «الفترة الذهبية» للصحافة الثقافية ستفقد كثيرا من تأثيرها مع نهاية التسعينيات وبداية الألفية الثالثة.

لا يبدو أن الصحافة الثقافية في العالم العربي تعيش أفضل أيامها متأثرة بعوامل كثيرة: منها «احتضار» المجلات والصحف المطبوعة وانحسار حرية التعبير وسيادة الثقافة الاستهلاكية التي تنظر إلى المحتوى الإعلامي مثل سلعة خاضعة لمنطق السوق (العرض والطلب)، وكذلك تراجع الحركة الثقافية وعتاد الصحفيين -على قلتهم- وإصرارهم على التعالي على الجمهور..

هكذا، قد تفتح المنصات الرقمية المنفلتة من ضغوطات الإنتاج ودكتاتورية نسب المشاهدة أفقا بديلا للصحافة التقليدية قادرا على توسيع انتشار المحتوى الثقافي مع الحفاظ على عمقه ودوره في تنوير المجتمع.

أزمة الصحافة الثقافية لا يمكن فصلها عن إخفاقات السياسة وفشل المشاريع الثقافية وبناء الدولة الوطنية الحديثة ما بعد الاستعمار، لكنها ما تزال تحتفظ بدورها الأساسي في مواجهة المد الشعبوي والتصدي للأصوليات ومقاومة السلطة وتثقيف المجتمع.

في أستوديو بسيط بإضاءة هادئة متحررة من «الاستعراض» الذي يطبع عادة البرامج التلفزيونية، ومن دون جمهور يصفق أو يستنكر، يستضيف برنار بيغو الوجه الأبرز للصحافة الثقافية في فرنسا، الدالاي لاما الزعيم الروحي للتبت.

كانت لحظة نادرة واستثنائية أن يحاور صحفي ثقافي عرف بمناقشة الأدباء والمفكرين زعيما روحيا لمناقشة مفهوم حقوق الإنسان وحقوق الشعوب الأصلية والحريات الثقافية. لكن تلك الحلقة التي بثت سنة 1989 ستتحول إلى مرجع في تاريخ البرنامج؛ لأنها وسعت مفهوم الثقافة الذي ظل لفترة طويلة محكوما برؤية ضيقة، ورسخت فكرة أساسية يناقشها ملف العدد: الصحافة الثقافية هي فضاء للحوار بين الفاعلين في المجتمع والسلطة.

هذا الحوار بين الثقافة والمجتمع كان من أبرز المحفزات الأساسية للصحافة الثقافية في العالم العربي، التي نمت في كنف تحولات سياسية واجتماعية مفصليّة خاصة تلك المرتبطة بالقضية الفلسطينية وبالأسئلة الجوهرية حول الهوية والسؤال القديم الجديد: لماذا تقدم الغرب وتأخرنا نحن؟

لقد أتاحت المنابر الثقافية تمثيل الآراء المتعارضة والمختلفة وإبراز جيل من المفكرين والأدباء

هيئة التحرير

# كتاب المجلة



# مجلة الصحافة

العدد (38) السنة التاسعة صيف 2025

مجلة فصلية تصدر عن معهد الجزيرة للإعلام / شبكة الجزيرة الإعلامية

المشرف العام: إيمان العامري

رئيس التحرير: منتصر مرعي

هيئة التحرير: محمد أحداد / محمد خميسة / محمد زيدان / محمد الأغا

تصميم: إدارة الإبداع في شبكة الجزيرة الإعلامية

التدقيق اللغوي: إبراهيم منصور، أحمد تحسين

مجلة الصحافة Aljazeera Journalism Review

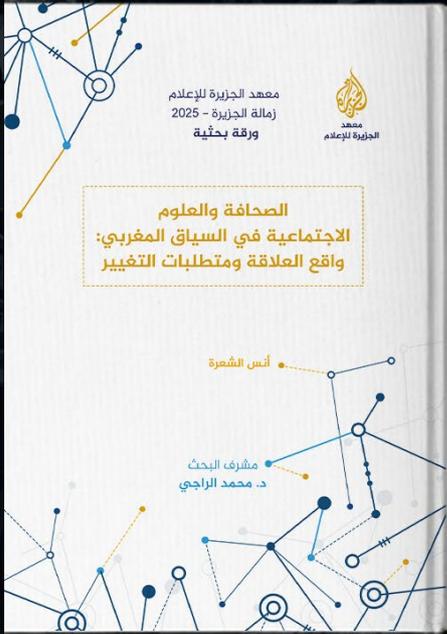
<http://institute.aljazeera.net/ar/ajr> 

AJR\_Arabic@ 

[www.facebook.com/aljazeerajournalismreview](http://www.facebook.com/aljazeerajournalismreview) 

[https://www.instagram.com/ajr\\_arabic](https://www.instagram.com/ajr_arabic) 

[ajreditor@aljazeera.net](mailto:ajreditor@aljazeera.net) 



إصدار  
جديد  
لمعهد  
الجزيرة  
للإعلام

معهد الجزيرة للإعلام  
زمالة الجزيرة - 2025  
ورقة بحثية

الصحافة والعلوم  
الاجتماعية في السياق المغربي:  
واقع العلاقة ومتطلبات التغيير

أنس الشعرة

مشرف البحث  
د. محمد الراجحي

• أنس الشعرة



# الثقافة والتلفزيون.. بين رهانات التنوير ودكتاتورية نسبة المشاهدة

ياسين عدنان

هل يمكن للتلفزيون والثقافة أن يجدا مساحة مشتركة للتعيش والتطور، يتنازل فيها الأول عن دكتاتورية نسبة المشاهدة ومنطقه التجاري، وتتحرر الثانية من اللغة المتعالية المعقدة المنفرة؟ كيف يمكن أن تقود الصحافة الثقافية مسيرة التنوير في المجتمع؟

ياسين عدنان، الذي ارتبط اسمه بالصحافة الثقافية في التلفزيون، يبحث عن الفرص لتجويد المحتوى الثقافي وجعله أكثر تأثيراً.

تطرح علاقة الثقافة بالتلفزيون في سياقنا الإعلامي العربي أكثر من سؤال على أكثر من مستوى وذلك لطبيعتها الإشكالية. فالأمر يتعلق - أولاً - بالتلفزيون خالق الفرجة ووسيلة الترفيه بامتياز. وكل ما يقدمه التلفزيون يجب أن يكون للفرجة مهما كانت طبيعته ومضمونه، بدءاً بالإنتاج الدرامي والمقابلة الرياضية حتى الحوار السياسي والبرنامج الثقافي. لكن غياب الوعي بخصوصية هذا الوسيط قد يورط أحياناً بعض من يخوض غماره من أهل الثقافة في التعالي عليه واحتقار منطق الفرجة الذي يحتكم إليه. وفيما يتشبّث هؤلاء بشرف الثقافة وجدية قضاياها وأسئلتها وضيوفها، تراهم يقدمون مادة متجهمّة قد يقبل عليها المتابع المتخصّص فيما يتبرّم منها المشاهد العادي ويجدها الجمهور العام عسيرة الهضم. وكثيراً ما يستغل مسؤولو التلفزيونات العربية - عمومية أو خاصة - تبرّم الجمهور من هذه المادة «عسيرة الهضم» ليعاقبوا بالمزيد من التضييق على البرامج الثقافية، بدءاً بتقليص مساحتها والتّقيير عليها إنتاجياً، وانتهاءً ببرمجتها خارج أوقات الذروة، غالباً خلال الجزء الثاني من السهرة. وبما أن زمن البثّ ومساحته سلطتان حاسمتان تُرجحان الكفة لصالح فئات ضدّ أخرى، تصير النماذج التي يتمّ تسويقها في فترات الذروة أهمّ - في تقدير العموم - من تلك التي لا تبثّ إلا في منتصف الليل بغضّ النظر عن رؤية هذا وخطاب ذلك. هكذا ينشأ الجمهور العام أكثر فأكثر لتلك الفئات التي تستأثر بالذروة وتستفيد من الزمن التلفزيوني بحتمية لافتة: ممثلين حتى ولو كانوا مبتدئين، فكهيين حتى ولو كانوا مجرد مهرجين، مطربين ومطربات حتى ولو كانوا من الدرجة الثانية،

سياسيين وحزبيين حتى ولو كانوا مجرد تجار انتخابات. لكنّ منطق التلفزيونات العربية قدّر - مع الأسف - أن هؤلاء أقرب إلى الوجدان العربي وأقدر على مخاطبته من نخبة ثقافية وأدبية وفكرية «متحذقة» «تدّعي» أنها هي من يصنع الوجدان.

لكن، هل المادة الثقافية تخاصم الفرجة وتفتقر إلى أسبابها كما يزعمون؟ أم أنّ الفرجة تُصنّع، وصناعتها تحتاج إلى استثمار قلماً تحظى به البرامج الثقافية المتخلّى عنها إنتاجياً للإجابة عن هذا السؤال، يسوق الباحث المغربي في الخطاب السمعي البصري الدكتور محمد طروس في كتابه «رهان الجودة في التلفزيون العربي» مثال مباريات كرة القدم المتلفزة التي يشيّد الباحث بـ «مقاربتها الإخراجية الدرامية وتقطيعها الدقيق وتأطيرها المتنوع»، فيما يصف نقلها التلفزيوني كالتالي: «تتعدّد زوايا النظر ومواقع الكاميرا؛ ليتمكن المشاهد من التمتع في كل مكان، يلمّ بكل صغيرة وكبيرة، ويتماهى مع الإيقاع المتنامي، ويصل إلى أقصى درجات المتعة».(1)

لكن لنتصوّر - يضيف د. طروس - أنّنا نتلقى المباراة نفسها «من كاميرا واحدة ثابتة، وزاوية نظر أحادية تماثل وضعية المتفرّج داخل الملعب»، حينها سينتفي التقطيع وحركة الكاميرا وستفقد المباراة أهمّ مقومات الفرجة. لذلك، يصعب توقّع الفرجة من برنامج ثقافي يُقدّم في أستوديو صغير وديكور متقشف يتخذ هيئة مكتبة في الغالب، بكاميرتين لا ثلاثة لهما. فالعبرة ليست بالمضمون وحده مهما كان المضمون جاداً، وإنما بالشكل الفنّي والجودة التقنية والأسلوب البصري التي تتحكّم

فيها إلى حدّ كبير شروط الإنتاج وإمكانياته دون أن ننسى أنّ هناك علاقة جدلية بين الإنتاج والبرمجة. فالبرنامج الذي يبث في وقت ميّت هو بالضرورة برنامج ضعيف المشاهدة محدود التأثير، فالجمهور العام يعتبر البرمجة معياراً من معايير جودة البرامج وتفوقها. هكذا مع البرمجة في غير أوقات الذروة يفقد البرنامج الثقافي ثقة الجمهور. وهذا ينال من قيمته وإشعاعه. وطبعاً لا يمكن لإدارة عاقلة أن تغدق على برنامج لا إشعاع له، ليجد البرنامج الثقافي نفسه عالقاً في ورطة أشبه ما تكون بمسألة البيضة والدجاجة.

تجاوز هذا الوضع الإشكالي يتطلّب أن يراجع الطرفان معاً أوراقهما. ولنبدأ بالتلفزيون ومَن يُديره. طبعا للتلفزيون حساباته المشروعة؛ فالمنافسة على أشدها بين القنوات، والمشاهد ملول متبرّم وشدّ انتباهه وضمأن ولأته يحتاج إلى مجهود جبار. لأجل ذلك تبذل إدارات التلفزيونات العربية قصارى جهدها لكي تظل دائماً عند حسن ظن «مشاهديها الأوفياء»، خصوصاً أنّ الوفاء اليوم صار قابلاً للقياس؛ فللمتابعة نسب معلومة والمعلنون يتعاملون مع المحطات التلفزيونية بناء على هذه النسب لتتطور الأمور باتجاه مقارنة تشاركية صار معها المعلنون ينتجون برامجهم أحياناً أو يفرضون نجومهم خصوصاً في الدراما والكوميديا الرضائية، وكل ذلك في سياق عربي نعرف أعطابه السياسية والاقتصادية وتردي وضعه التربوي والاخترالات التي طالت منظومة القيم لديه.

وإذا كان سعي التلفزيونات الخاصة إلى الربح يبرّر لها هذا التوجّه فإن وضع التلفزيونات العمومية مختلف؛ لأنها مطالبة بما نطالب به باقي

المرافق العمومية من خدمات يجب تقديمها للمواطنين لتسويغ ما تحصل عليه من دعم مالي ممّول من جيوب دافعي الضرائب. لذلك نتجرأ على طرح السؤال التالي: ماذا عن دور الوسيط التلفزيوني في بلدان تحتاج إلى تأهيل حضاري وتنمية بشرية كبلداننا؟ أوليس مطالبنا بالاضطلاع بمهام الإعلام والتربية والثقيف، إلى جانب الترفيه طبعاً؟ لذا، نتصوّر أنّه ليس من حقّ التلفزيونات المطالبة بالخدمة العمومية تتويج نسبة المشاهدة قيمة القيم، ليصير المضمون الجاد والعمق الفكري والوظيفة التربوية مجرد كلام فارغ لا يصد أمام ديكتاتورية نسبة المشاهدة. والغريب أننا نتابع منذ فترة ليست بالقصيرة كيف حمي وطيست المنافسة -التجارية- والإشعاعية- بين القنوات العمومية داخل البلد الواحد أو بين البلدان العربية دون أن ننتبه إلى أن هذه المنافسة تتمّ أصلاً في المعتكرك الخطأ. وذلك لأن التنافس يكون على رفع نسب المشاهدة بجميع الوسائل والمواد، حتى لو كانت خردة مسلسلات مكسيكية أو تركية أو مجموعة من السيكتومات الملققة، والفوز بأكبر نصيب ممكن من كعكة الإعلانات حتى ولو جاء ذلك على حساب هوية القناة والتزاماتها إزاء المجتمع، مثل هذه المنافسة لا نجد فيها رابحاً؛ ببساطة لأننا قد نكسب المزيد من المشاهدين وبالتالي المزيد من الإعلانات لكننا نخسر الإنسان. وأعتقد أن قنواتنا، خصوصاً تلك الملزمة بواجب الخدمة العمومية أو المشغولة بهواجس التحديث والتنوير، معنية بمصاحبة المشروع المجتمعي الشامل في مجال التنمية البشرية؛ إذ لا يمكننا فتح ورشات عمل اقتصادية وتنموية، خصوصاً على مستوى التنمية البشرية دون أن يساهم

الإعلام -والتلفزيون بالخصوص- في مصاحبة هذه الورشات بمجهود محسوس في مجال تأهيل الإنسان على المستوى الثقافي والتربوي والقيمي. وهنا لا أتصوّر أنّ بإمكان المسلسلات المكسيكية أن تفني بالغرض مهما علت نسب مشاهدتها. لا بدّ من إنتاج أصيل أوّلاً، ولا بدّ من مواد وفقرات أكثر جدية ومسؤولية: دراما وطنية عميقة وذكية تنصت لتحولات المجتمع وتفتح عيون مشاهديها على خيارات هادفة وتروّج من خلال أبطالها لقيم إيجابية سواء اتتمت إلى المنظومة القيمية الأصيلة كقيم التكافل والتآزر والقناعة، أو إلى المنظومة الحديثة بكل ما تكثفه من قيم المواطنة والحرية والاختلاف واحترام الآخر. برامج إخبارية تُقارب مادّتها بموضوعية ومهنية وبروح تحليلية نزيهة. وبرامج ثقافية تُصدّر عن اقتناع بأولوية الثقافة في معركة التنمية البشرية وبناء المواطنة الفاعلة وتأخذ بعين الاعتبار أهمية وحساسية دور الوسيط التلفزيوني في تثقيف المجتمع خصوصاً مع اكتفاء الغالبية العظمى من مواطنينا بالتلفزيون بصفته وسيطاً يقدّم الأخبار والمعرفة في ظل تراجع القراءة في مجتمعاتنا. لذلك، يجب تعزيز البرمجة الثقافية في كل التلفزيونات العربية الواعية بدورها الحضاري والتربوي. يجب أن تكسب الثقافة مساحات جديدة على الشاشة لأنّ التلفزيون بصفته وسيطاً صار يلعب اليوم دوراً محورياً في صناعة الرأى العام والوجدان الجمعي. وعلينا أن نختر: هل نريد شعوباً يقظة لها حدّ أدنى من المعرفة والوعي والقدرة على التمييز؟ أم نريد كائنات استهلاكية هشة لا مناعة لها ومستعدة لابتلاع أيّ خطاب مهما كان سطحيًا حتى لو كان خطيراً، وتتلقى الفرجة

السطحية والتفاهات برّضاً وتسليم؟ عمومًا، حاجة التلفزيون إلى الثقافة وأهمية الوسيط التلفزيوني في الترويج للثقافة والخطاب الثقافي يفتح أمامنا نقاشاً جدياً نحن مهزومون فيه إذا ما واجهنا خبراءً نسب المتابعة بمنطقهم وحساباتهم وما يسوّغون به اختياراتهم التجارية المحضة من إكراهات. لذلك نحتاج وباستعجال إلى قرارات سياسية شجاعة من أصحاب القرار إذا كانت لديهم مشاريع مجتمعية حقيقية وكانوا يحتاجون شعوبهم فعلاً في معارك المستقبل وفي تحدّيات بناء الإنسان.

ينشُد الجمهور العام لتلك الفئات التي تستأثر بالذروة وتستفيد من الزمن التلفزيوني بحتمية لافتة: ممثلين حتى ولو كانوا مبتدئين، فكهيين حتى ولو كانوا مجرد مهرّجين، مطربين ومطربات حتى ولو كانوا من الدرجة الثانية، سياسيين وحزبيين حتى ولو كانوا مجرد تجار انتخابات.

لقد شاهدنا كيف لعبت بعض الفضائيات العربية لعبة الإعلام السياسي التحريضي وإثارة النعرات الطائفية والمذهبية ونجحت في ذلك سياسياً وتجارياً، وكيف ردت عليها فضائيات أخرى مهمة بالمسلسلات المكسيكية الماراثونية المذبذبة وهو ما وجدت فيه بعض الأنظمة السياسية والقنوات الرسمية التابعة لها فرصة لاسترداد المشاهدين خصوصاً من النساء وغير المتعلمين وفئة الشباب



صورة للصحفي الفرنسي برنار بيغو، مقدم برنامج «أبوستروف» مع الروائي الأرجنتيني خورخي بورخيس. شكل البرنامج ثورة في الصحافة الثقافية بالمزج بين المحتوى النخبوي والأسلوب الجذاب في التقديم (غيثي).

لكن، هل كل ما نطلبه اليوم من تلفزيوناتنا العربية هو مضاعفة المادة الثقافية وتعزيزها بمساحات أوسع في خرائط البرمجة؟ هل كل ما نحتاجه هو تمتيع البرامج الثقافية بمواعيد بث أفضل تتيح لهم التواصل مع أكبر عدد من المواطنين؟ قد يكون هذا صحيحاً، لولا أن الحاجة إلى الثقافة في التلفزيونات العربية تتعدى هذه المطالب إلى تحديات أكثر جوهرية. فما نحتاجه اليوم باستعجال هو توسيع مجال الثقافة أولاً لتتجاوز حدود الأدب والإنتاج الفكري والفلسفي. نحتاج فعلاً إلى إخراج البرامج الثقافية من شرقة النظرة الأدبية الضيقة إلى

تطور ومنتقد ونساهم في تحديث الفن والمجتمع والعمران والسياسة بدون حاجة إلى الثقافة وبدون خلفية ثقافية تؤطر ذلك كله أمر يدعو فعلاً إلى القلق.

ماذا عن دور الوسيط التلفزيوني في بلدان تحتاج إلى تأهيل حضاري وتنمية بشرية كبلداننا؟ أوليس مطالباً بالاضطلاع بمهام الإعلام والتربية والثقافة، إلى جانب الترفيه طبعاً؟

والمراهقين. أعتقد أن الوقت قد حان لكي يجرب التلفزيون العربي طريقاً ثالثاً لا تحريض فيه ولا تبليد. والثقافة هي عنوان هذا الطريق الثالث. لكن جزءاً مهماً من الإعلام المرئي العربي يعيش في انفصال تام عن أية خلفية ثقافية، وبدلاً يتعد بالتدريج عن مقاربة قضايا السياسة والمجتمع والفن انطلاقاً من منظور ثقافي رغم أن للثقافة دوراً جوهرياً في تأطير المجتمع وتخليق الحياة العامة وتحسين المجال السياسي من التطرف والمذهبية المنغلقة، وكذا في إضفاء المعنى والروح والدلالة على الإنتاج الفني بمختلف أصنافه. والإحساس بأن بإمكاننا اليوم أن



برنامج المشاء الذي تنتجه قناة الجزيرة شكل قيمة مضافة في الصحافة الثقافية التلفزيونية (لقطة من البرنامج).

الأفق الثقافي الواسع. إضافة إلى الانشغال بالأسئلة الأدبية والإبداعية والفكرية، من المهم أن تتحوّل البرامج الثقافية إلى منابر يمارس من خلالها الفاعلون الثقافيون في البلاد العربية حوارهم مع المجتمع وقضاياها. فتبني المقاربة الثقافية لقضايا المجتمع يمكنه أن يحتل مكانة محورية في صلب السياسة التحريرية لبرامجنا. نحن في أمس الحاجة إلى صوت المثقف ليدلي بدلوه في الشأن السياسي والديني والاقتصادي والاجتماعي، وليقترح تحليله الخاص لمختلف الظواهر السياسية والاجتماعية. وهناك اليوم العديد من الموضوعات المطروحة للنقاش المجتمعي في العالم العربي، تتصور أن المقاربة الثقافية قد تُنصفها أكثر مما تفعل لغة السياسة وذرائعية السياسيين. إن الديمقراطية أفكار ورؤى ونقاش، وهي تصدر عن الفكر وتأتي من الكتب مهما تغزلنا بحيوية المجتمع وحراك الشارع السياسي. إن الديمقراطية حوار أفكار وصراع مشاريع مجتمعية وبناء مؤسسات، قبل أن يكون غضبًا وشعارات، تصويتًا وانتخابات. والتلفزيون اليوم مُطالب بإتاحة المجال أمام النقاش المعرفي بطريقة تخدم أعمال العقل وتعيد للتفكير النقدي موقعه داخل الفضاء التلفزيوني العمومي وداخل المجتمع، والمراهنة على الحوار لكي نذهب به أبعد من الشعار.

هذا هو المعنى الأشمل للثقافة في التلفزيون. وهو أمر لا يجب أن يوكل إلى التقنيين وخبراء نسب المتابعة. لكن بالمقابل نحتاج الخبرة والدعم التقني في الخطط والمشاريع والعمليات الداخلية لصناعة البرامج الثقافية بما يرفع من شكلها الفني وجودتها التقنية وأسلوبها البصري. هذه الخطة تبدأ من إعداد الأرضية

مدار النقاش بالإغراق في اللغة الأكاديمية أو بالانغلاق داخل عربية مُفاصحة باللغة الجزالة.

إن اللغة الرشيقة والبناء المشوّق أساسيان، لكن لا بدّ من تعزيزهما - في المنطلق - بكتابة تلفزيونية إبداعية قادرة على خلق الفرجة المطلوبة لاستقطاب جمهور المشاهدين وتوسيع قاعدته. لهذا لا يكفي أن يشتغل صاحب البرنامج بجديّة في إعداد حلقاته، ولا أن يجتهد في أداء دور المذيع المتمكّن، بل عليه أن يكون مؤلفاً صاحب مشروع تلفزيوني يصنّع للفرجة. ولقد عرف المشهد التلفزيوني الثقافي العربي مشاريع صادرة عن هذا الوعي. أدرج هنا على سبيل المثال برنامج «المشاء» الذي يقدمه الإعلامي والأديب التونسي جمال العرضاوي ويقدم من خلاله أوتو-بورتريهات لمبدعين عرب مع تعريف بحواضرهم، يحاورهم «المشاء» وهو يتجوّل معهم. ويوضّح الإعلامي وال كاتب التونسي حسن مرزوقي من

الأساس التي يتحكّم في بلورتها الصحافيون الثقافيون والمثقفون الذين يشتغلون بالتلفزيون.

ولعل أول عنصر يجب الاشتغال عليه هو اللغة. لا بدّ من بلورة لغة إعلامية رشيقة لا تتنازل عن فصاحتها ولا تتعالى مُفاصحة على المشاهدين. فالأجدي أن نتعاون جميعاً لبلورة لغة قادرة على النفاذ إلى قلوب الناس وعقولهم. لغة تختلف عن لغة الكتب والأطروحات الجامعية. ثم لا بد من ضرورة تحرير الخطاب من الأجهزة المفاهيمية ولغة التخصص والمرجعيات والإحالات والأسماء الطنانة التي يتوخى منها البعض إبهار المشاهدين بينما هم في الواقع يعرقلون التواصل معهم ويدفعونهم دفعا إلى التبرّم من برامج الثقافة وحوارات المثقفين. فالجمهور العام يريد أفكاراً واضحة، وهذا حقّه. وإذا لمسنا لديه استعداداً لبذل مجهود في المتابعة فلا يجب علينا إخراجهم بالمفاهيم المُستغلقة والتحليلات المعقدة، أو طرده خارج

فريق البرنامج هذا الاختيار قائلًا: «خرجنا إلى الشارع والمدينة والسوق والناس. وأردنا من فكرة المشي أن يتفاعل المثقف مع محيطه ومدينته وعالمه، وربما يحاور الحجر والشجر والتاريخ» (2). ثم يضيف أن فكرة المشي والتجوال «تعطي إمكانات بصرية جمالية على مستوى الصورة وحركة الضيوف في الأمكنة وتنوع الكادرات وزوايا التصوير». هذا بالضبط هو ما نسّميه الفرجة، رغم أن الجوانب الفنية والتقنية فيها على أهميتها ليست حاسمة. الأهم في اعتقادي هو التأليف. القدرة على إبداع كتابة تلفزيونية جميلة تجدد روح البرنامج الثقافي وتعطيه شخصية وتمنحه حيوية وتضفي عليه جانبًا حكائيًا دراميًا يشد المشاهد ويستحوذ على الجمهور.

في برنامج «بيت ياسين» الذي كنت أعده وأقّده على شاشة قناة «الغد» حاولت بدوري أن أراهن على الجانب الجمالي، وأقدم كتابة تلفزيونية تمتح من الكتابة السينمائية. هكذا اخترنا فضاء البيت وتصورنا أن الأدباء والمفكرين والمثقفين والفنانين الذين نقدمهم للجمهور ضيوف يزورون صديقًا خلال يوم عطلة. ندرش قليلًا، نتناول وجبة الغداء مع بعض أمام الكاميرا، نسكن إلى المكتبة قليلًا حيث نشرب الشاي، ثم تنسحب الكاميرا لتترك جلستنا مستمرة متواصلة فيما يمكن اعتباره نهاية مفتوحة للبرنامج. ومنذ مشهد انتظار الضيف بالشرفة، ثم استقباله بالباب حتى نهاية البرنامج نتصرف أنا والضيف كشخصيتين حكايتين. لا أحد منا يحدّق في عين الكاميرا، فالبرنامج ليس برنامجًا، ليس لقاء تلفزيونيًا يفتتحه مذيع يخاطب المشاهدين عبر الكاميرا «سيداتي سادتي، أهلا وسهلا ومرحبا بكم». فقد انصبّ اجتهادنا في التأليف على أن نُقنع المشاهد بأن الأمر لا يتعلق

ببرنامج تلفزيوني حوارِي؛ فالبيت الذي كنا نستقبل فيه الضيوف لم يُعد ديكورا بل صار فضاءً حكائيًا. وطبعًا يأتي دور الإخراج وحركة الكاميرا والتصوير وزواياه والتأطير ودوره في بناء اللقطات ثم المونتاج فيما بعد وغير ذلك من العناصر الفنية والتقنية لتعزّز طابع الفرجة في البرنامج.

لكنّ تجاربَ من هذا النوع تحتاج إمكانيات إنتاجية ليست متاحة دائمًا. لهذا تبقى التجارب التي تمكنت من تحقيق الفرجة من خلال المادة الثقافية في مشهدنا السمعي البصري العربي محدودة ومعدودة. وقليلًا ما يُكتب لها الاستمرارية؛ لأن صبر مسؤولي القنوات على الثقافة في قنواتهم قليل، ثم إنهم سرعان ما يغلقون قوس الثقافة ليعودوا إلى «الجِدِّ»: إلى السياسة وأخبارها على مدار الساعة، وإلى الحوارات السياسية المتلاحقة عبر النشرات المتتالية. والحال أنه لا يمكن للبلدان العربية أن تتقدّم نحو المستقبل

فقط بنخبها السياسية؛ فالنخبة الثقافية تبقى ذات دور أساسي لأن المثقفين يُنتجون الأفكار التي تحرك المجتمعات، ومن الضروري تحقيق نوع من المصالحة بين منتجي الأفكار ببلداننا والتلفزيون الذي يبقى القناة الأكثر فعالية في مجال الترويج للأفكار وتقريبها من مدارك المواطنين. لذا فردّم الهوية بين المثقف والمجتمع يجب أن يُعتمَد هدفًا مركزيًا لكل القنوات الحريصة على خدمة مشاهديها وعلى استقرار بلدانها. ثم إن السياسة عابرة والثقافة دائمة. السياسة تفرّق فيما الثقافة توحد. فما ضرّ قنواتنا التلفزيونية لو استثمرت قليلًا في الثقافة التي تنشغل بالأساسي الذي يشكّل وجدان الشعوب العربية. والدفاع عن البرامج الثقافية في التلفزيون هو دفاعٌ عن حقنا نحن النخبة الثقافية - في زمن إدمان الإعلام على بثّ الفرقة وإثارة النعرات - في هوامش نحاول من خلالها حراسة الوجدان وترميم المشترك.

## ” المراجع

(1) محمد طروس، بيت ياسين: رهان الجودة في التلفزيون العربي، دار العين، القاهرة 2022، ص 17.

(2) حسن مرزوقي، المثقف والتلفزيون: عن الهوامش الثقافية والفكرية في الفضائيات العربية، كتاب جماعي، إشراف وتقديم بدّي المرابطي، منشورات ضفاف والاختلاف، بيروت 2023، ص 135.



# نداعي الصحافة الثقافية.. أعمق من مجرد أزمة!

هشام البستاني

ترتبط أزمة الصحافة الثقافية في العالم العربي بأزمة بنيوية تتمثل في الفشل في بناء الدولة ما بعد الاستعمار، وقد نتج عن ذلك الإجهاز على حرية التعبير ومحاصرة الثقافة واستمرار منطق التبعية والهيمنة والنتيجة: التماهي التام بين المثقف والسلطة وانتصار الرؤية الرأسمالية التي تختزل الثقافة في مجرد «ساعة». ما هي جذور أزمة الصحافة الثقافية؟ وهل تملك مشروعاً بديلاً للسلطة؟

في سياق عربيّ بات في أشدّ حالاته هزيمةً وتراجُعًا منذ نشوء الكيانات السياسيّة ما بعد-الاستعماريّة في نهاية الحرب العالميّة الأولى، يستدعي الحديث عن الصحافة الثقافيّة، ودورها في المقاومة ومواجهة النسيان والإنهزام، التساؤل عن وجودها وتأثيرها، والسياقات التي يتمّ فيها استيعاب وتحويل ثمّ إنهاء دورها في إذكاء شعلة النقاش والتفكير والنقد وتحريك الرّآكذ، والتأمّل في إمكانيّات وأساليب التّغيير والتّهوض. ثمّ سيستدعي هذا الحديث نقاشًا حول وجود «مشهد ثقافيّ» أصلًا، ووجود فاعليّن ثقافيّين قادرين على تقديم مساهماتهم بحريّة، وتحويل هذه المساهمات إلى ممارسات ثقافيّة-سياسيّة داخل الفضاء العام، تليها القدرة على أن تأخذ هذه الممارسات شكلًا ماديًا-حركيًا تقود إلى نواتج ومحضّلات.

يُجمع المعلّقون - منذ وقت طويل - على أن الصحافة الثقافيّة تمرّ بأزمة شديدة تتراوح بين الإهمال، (1) والمستقبل الغائم، (2) وصولاً إلى المحنة، (3) فالاحتضار، (4) فالموت، (5) الأمر الذي يدفع إلى التساؤل عن جدواها وإمكانيّة إنقاذها. (6) بل إن هذه الأزمة وصلت إلى حدّ الحديث عن ضرورة وضع وضبط تعريفٍ ما للصحفيّ الثقافيّ (7) بعد تاريخ للصحافة الثقافيّة العربيّة يقترب من - أو يزيد عن - مئة عام.

لكنّي أرى أن أزمة الصحافة الثقافيّة تعبير عن أزمة أوسع وأشمل، وناتجة بالتحديد - مثلما هي بقيّة الأزمات في فضاءنا العربيّ - عن أزمة الكيانات السياسيّة ما بعد الاستعماريّة، وفشلها المدوّي في إحداث التنمية والاستقلال الناجز والخروج من دائرة التبعية والهيمنة عبر التقسيمات الاستعماريّة التي

أنتجتها في أكثر من مئة عام بقليل. (8)

## عن التعريف

عند الحديث عن «المشهد الثقافيّ»، فإنني أقصد به ذلك الفضاء الذي يعتمد الفاعلون فيه إلى نقاش واسع ومفضّل ومتفاعل للواقع الاجتماعيّ والاقتصادي والثقافي والسياسي إلى جانب المنتجات الفكرية والإبداعيّة التي يقدّمونها؛ بغرض رقد المجتمع بالأفكار والتصوّرات والإبداعات، مثلما يرفد بعضهم بعضاً بالرؤى والإمكانيات، محاولين تطوير التجارب في سياق نقاش جماعيّ مادّته نتاجات أعضاء المشهد وتصوّراتهم المعبر عنها فكرًا، أو أدبًا أو مسرحًا أو تشكيلاً أو سينما، وغيرها من أدوات تقديم الأفكار.

يتطلّب مثل هذا التفاعل والحوار مساحات عامّة حرّة غير خاضعة لرقابة السّلطة وتدخلها. قد تأخذ هذه المساحات العامّة أشكالاً مكانيّة: كالمقاهي والمعارض والمنتديات والجمعيات والمساحات العامّة، أو أنّها قد تأخذ أشكالاً تداوليّة، مطبوعة أو مرئيّة أو مسموعة، كالصحف والمجلات والبرامج الثقافيّة التلفزيونيّة والإذاعيّة والمواقع الإلكترونيّة.

الأشكال التداوليّة لم يبق منها شيء جادّ يذكر. فالمجلات الأدبية والفكرية المطبوعة أعلقت في معظم أبوابها، وتحوّل بعضها إلى صيغ إلكترونيّة ضائعة في خضم «الثرثرة الرقمية الطافحة»، أما الملاحق والصفحات الثقافيّة للصحف فمات أغلبها، وما بقي منه تقلّص في الحجم وانحدر في النوع، وصار الباقي منها منصّات لترويج الأدب والفنّ المعقّمين، اللذين

تنتجها عمومًا الجوائز التي تقف خلفها وتموّلها السّلطات نفسها التي تضرب المغاير والمخالف والناقد بيد من حديد، ليختزل «المشهد الأدبيّ» في قوائمها القصيرة وفائزها، وهو مشهد موسميّ مؤقت، إذ ستحل محله في الموسم القادم «سالع» أدبيّة جديدة فائزة تمحو ما قبلها الذي يصير «خبرًا قديمًا»: مادة متقدمة منتهية الصلحيّة، وينطبق الحال نفسه على البرامج الثقافيّة في المحطات التلفزيونيّة أو الإذاعيّة.

أما المساحات المكانيّة فوضعها أعوص، إذ تحوّلت إلى أدوات تسوّل واحتواء؛ تتسوّل الدعم والمكانة والاعتراف من السّلطة التي تحتويها وأعضاءها بالفتات الذي لا يمكن له أن يصنع حركة ثقافيّة غنيّة ومبدعة ومستقلّة، فيصبح الشغل الشاغل لهذه الأطر أن تستنبط قيمة ما لنفسها لعل السّلطة تنتبه إليها و«تستعملها»، مثلًا «في مواجهة التطرّف» و«الإرهاب»، (9) أو «من أجل بناء هويّة وطنيّة» و«ترسيخ مفهوم الدولة، وحراسة قيمها، والدفاع عن ثوابتها، وضرورة مشاركة المثقف الفاعلة في تحقيق غاياتها»، (10) والسّلطة لا تأبه لا لهذا ولا لذلك من هذه الجوانب، إذ أن هدفها الرئيسيّ والمركزيّ هو البقاء مُستخدمة في سبيل ذلك كل العناصر المتناقضة والمتعارضة، مُوظفة - في كثير من الأحيان - بعض هذه العناصر في مواجهة بعض، ومنقلبة، حين تحين اللحظة المناسبة، على «الأدوات» التي وظّفنها.

والحال هكذا؛ يكون الفاعلون الثقافيّون «مثقّفين»، بالتعريف الاصطلاحيّ الذي قدّمته في دراستي: «الحدّات المتخيّلة والرّهان على السّلطة: المثقف كظاهرة (ما

بعد) استعماريّة، والمفكّر الممارس كإمكانية تحريرية» (11) وملخصها أن مصطلح «المثقف» فريد وخاص في السياق العربي، ولا يعادل كلمة «intellectual» الإنجليزية أو «intellectuel» الفرنسية؛ إذ أنه نشأ ضمن مسار آخر مختلف، وفي سياق الانبهار بالمنجز الاستعماري، بالتجاوز مع نزعة للحاق به والاستقلال عنه، وبالتزامن مع ظاهرة تقوم على «عبادة الحداثة»، لم تعجز عن نقدها فحسب، بل اعتبرت كل ما هو محلي متخلفاً بالضرورة، وبهذا يرفع المثقف نفسه إلى مرتبة دينية-فردية، عمادها التبشير بالحداثة ومتطلباتها، والانطلاق للبحث عمّن ينفذ مشروعه المثالي-المتخيل. ولأنه يعتبر مجتمعه متخلفاً لا يمكن الرهان عليه ليكون رافعةً للنهوض، بل هو موضوع التغيير، لا يبقى لديه من خيارات قادرة على إحداث التغيير المنشود سوى السلطة ليعرض عليها رؤيته التحديثية، متحوّلاً مع الوقت - من خلال آليتي التوسّل والتسوّل - إلى جزء من أدوات استدامتها، وإعادة إنتاج تسلطها ووظيفيتها.

وإن كان مثقفو الأمس (ليس على سبيل التعميم) منشغلين بـ«الحداثة» وكيفية الوصول إليها، فإن مثقفي اليوم مشغولون بأحلام النجومية، والانتشار والاعتراف والتكريس. يبحثون عن سبيل للتحوّل إلى مشاهير عبر استجداء الجائزة والسعي إليها من خلال مسارين:

أ- التخفّف من نقد الحاضر بما يمثله من المجموعات الحاكمة وسياساتها، حتى لا تقف حجر عثرة في سبيل الفوز، والتحوّل-في أحسن الأحوال- إلى نقد الماضي الذي لم يعد موجوداً ولا مؤثراً.

ب- غزارة الإنتاج، لعل تذكرة اليانصيب الأدبية نصيب هذه المرّة، الأمر الذي يوّد العاديّة والرداءة والثرثرة، لا بل ويعيد تشكيل مشهد الكتابة والإبداع بالمجمل بعد أن صارت في عمومها طامحة للحصول على الجائزة كهدف أساسي من أهدافها، على النسق الذي تختطه الجائزة بخياراتها، مشكّلة معها أيضاً مشهد الصحافة الثقافية، والنقد الأدبي، اللذين يتقيّدان بالمحددات نفسها للحصول على المنافع المرافقة (12)

**أزمة الصحافة الثقافية تعبير عن أزمة أوسع وأشمل، ونتاجة بالتحديد عن أزمة الكيانات السياسية ما بعد الاستعمارية، وفشلها المدوي في إحداث التنمية والاستقلال الناجز والخروج من دائرة التبعية والهيمنة عبر التقسيمات الاستعمارية التي أنتجت في أكثر من مئة عام بقليل.**

يتلخّص في التخلّي عن هدف التحرّر الشامل أو المساهمة فيه، إلى هدف بسيط هو الحفاظ على الذات والمبادئ من أن تتأثر بالانهيار الشامل، وتصوير ذلك على أنه فعل نضاليّ مقاومٍ سامٍ بحدّ ذاته.

الصحافة الثقافية جزء من هذا الحال، وتعاين أعراض التداعي ذاتها، وتعكس هذا السائد وتكرّره، فهي محضّة وليست نتيجة، وإن ادّعى البعض - من موقع «رومانسيّ» مثاليّ متفائل - غير ذلك. الصحافة تُصنع ابتداءً قبل أن تُصنع، يصنعها مالكوها وممولوها والسلطات التي تخضعها لقواعدها وتسيّرها في ظلّها، وما نماذج تزيف أو تعمية التغطية وازدواجية المعايير المتعلقة بإبادة غرّة سوى الدليل الفاقع على هذه البديهة البسيطة التي لطالما تخفّت خلف مقولات مثالية نموذجية لا موقع لها من الإعراب في أرض الواقع، مثل «الحياد» و«التوازن» و«الموضوعية».

أين كل ذلك من أدوار سابقة أدتها الصحافة الثقافية في مراحل تاريخية أخرى؟

لا بدّ ابتداءً - وقبل أن نناقش هذا السؤال - من تثبيت قاعدتين مركزيّتين: نفيد الأولى بأن الثقافة والصحافة الثقافية جميعها سياقية؛ أي أنها تتأثر وتتفاعل وتنبثق وتعبّر عن السياق الذي توجد فيه؛ وتفيد الثانية بأن الثقافة والصحافة والسياسة لصيقة تلاصقاً تاماً، وإن ادّعت الثقافة والصحافة رفعتهم وحياديّتهما، فالترفع عن السياسيّ وادّعاء الحياد أو «عدم الاشتباك المباشر» هو بحدّ ذاته انحياز سياسيّ لصالح الطرف المسيطر والوضع القائم من باب السكوت عنه، وإتاحة المجال

بتحوّل «المشهد الثقافيّ» وانحساره، يفقد الفعل الثقافيّ أدواته، ويصبح معلقاً في الهواء، ويصير نوعاً من أنواع التأقلم المكثف مع الوضع القائم الذي يتراجع باستمرار، في صيغة: «أعمل في حدود المسموح والمتاح»، مع أن هذه الحدود تصغر وتضيق؛ أو نوعاً من أنواع «الصراخ في البرية» المحكوم سلفاً باللادجوى، باعتباره حالة ضميرية من حالات «قول الحقّ في وجه السلطة» كفرض كفاية يُغني عن العمل في مواجهتها؛ أو نوعاً من الخلاص الذاتيّ الانسحابيّ الذي



الصحافة تُصنع ابتداءً قبل أن تُصنع، يصنعها مالكوها وممولوها والسلطات التي تُخضعها لقواعدها وتسييرها في ظلها، وما نماذج تزيف أو تغطية التغطية وازدواجية المعايير المتعلقة بإبادة غرّة سوى الدليل الفاقع على هذه البديهة البسيطة (غيتي).

الملاحق والصفحات الثقافية للصحف مات أغلبها، وما بقي منه تقلص في الحجم وانحدر في النوع، وصار الباقي منها منصات لترويج الأدب والفن المعقّمين، اللذين تنتجهما عموماً الجوائز التي تقف خلفها وتمولها السلطات نفسها التي تضرب المغاير والمخالف والناقد بيدٍ من حديد.

“

ولهذا السبب نفسه، ليس من المستغرب أن نعاين اليوم خفوتاً كبيراً في دور الصحافة الثقافية، فالعصر هو عصر التسليح والترفيه والتسطيح و«التفاهة»، عصر الأنانيّة والركض خلف الزّائج والدّارج، مثلما هو عصر التّفثيت والتّفكيك وترسيخ التبعية والإلحاق،

الحاكم وحدوده، وحدود رؤيته للمساحة السياسيّة المتاحة، وحدود المناوشة الممكنة أو المتحمّلة للفاعلين فيها، فما مثله شخص مثل غسان كنفاني (1936 - 1972) هو وليد سياق اللحظة التاريخيّة التي وجد فيها وكان فاعلاً فيها، وهي لحظة أتاحت حدوداً وشكّلت تحولات يمثّلها أيضاً صحفي آخر نشط في مبحث آخر من مباحث الصحافة، هو ناجي العلي (1936 - 1987). لكن، ما بين غسان وناجي تقع مقدّمات التداعي الشامل الذي أودى بحياة الثاني بيدٍ ربما كانت غير تلك التي أودت بحياة الأول، (13) فيما يمثّل كلاهما هذا اللانفصال بين الصحفي والسياسي، وبين الفكر والممارسة، وبين الفكر المواجه للاستعمار الاستيطاني الصهيوني ومواجهة الاستعمار الاستيطاني وأدواته؛ هذا اللانفصال الذي تفكّكت عراه تماماً اليوم في الحقول الثقافيّة، والفكريّة، والصحفيّة أيضاً.

أمامه للتمدّد والرّسوخ، وتوجيه النظر الخاصّ والعامّ إلى مكان آخر. لذا: ليس ثمة شيء اسمه «الثقافة اللاسياسيّة»، أو «الإبداع الذي لا علاقة له بالسياسة»، أو ما عبّر عنه في فترات سابقة بعبارة «الفنّ للفنّ»، فترفع الفنّان عن بحث الطاغية وكشفه هو تواطؤ معه واستدامة لقمعه. وعلى نفس المنوال، لا يوجد شيء اسمه الحياد الصحفي، فيتاحة المجال لرواية القاتل على قدم المساواة مع - أو غالباً: بوقع أقوى من - رواية القتل تعني انحيازاً للأول في أسوأ الأحوال، وتبريراً له وتخفيفاً لجرائمه في أحسنها.

لذا من غير المستغرب أن تعبّر الصحافة الثقافية في مراحل صعودها خلال فترة ما سمّي بـ«التحرّر الوطني» أو «التحرّر من الاستعمار» عن مزاج عامّ تحرّري، وإن كان مضبوطاً - كما في مصر عبد الناصر مثلاً - بإيقاع المتسلط



الثقافة والصحافة والسياسة لصيقة تلاحقاً تاماً، وإن ادّعت الثقافة والصحافة رفعتهما وحياديتهما، فالترقق عن السياسيّ وادّعاء الحياد أو «عدم الاشتباك المباشر» هو بحد ذاته انحياز سياسيّ لصالح الطرف المسيطر والوضع القائم من باب السكوت عنه (تصوير: جون وريفورد - غيتي).

ما بين غسان وناجي تقع مقدّمات التداعي الشامل الذي أودى بحياة الثاني بيد ربما كانت غير تلك التي أودت بحياة الأول، فيما يمثل كلاهما هذا اللانفصال بين الصحفي والسياسي، وبين الفكر والممارسة، وبين الفكر المواجه للاستعمار الاستيطاني الصهيوني ومواجهة الاستعمار الاستيطاني وأدواته.

عصر التطبيع الإبراهيمي مع الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، والاستثمار فيه باعتباره مركز القوة الكاسحة في المنطقة، عصر إخضاع الصحف والثقافة والكتّاب والكتابة، واحتوائها جميعاً في خط السكوت عن النقد، والالتحاق التابع من باب الإغواء بالمال والمكانة والشهرة.

فوق ذلك كلّه، تبرز تحديات أخرى كبيرة تخص الصحافة في عمومها والصحافة الثقافية على وجه الخصوص، إذ يتراجع الاهتمام العام والصحفيّ بالمادة الثقافية أمام فروع الصحافة الأخرى السياسية والاقتصادية والرياضية، وينتشر الابتسار والسرية المرافقين للمادة الإعلامية في طورها «السوشال-ميدياوي» (نسبة إلى وسائل التواصل الاجتماعي) والمعتمدة على الأخبار القصيرة والخفيفة والصورة والفيديو، مقابل العمق والإسهاب والجدية المطلوبة في مواد ومراجعات الصحافة الثقافية، إضافة إلى الضحالة والاستسهال اللذين باتا يميزان المشتغلين في الشأن الثقافي، سواءً من جهة الإنتاج الإبداعي-الثقافي نفسه، أو من جهة من يفترض فيهم تغطيته والكتابة عنه وفيه، ومعها أيضًا فقدان «المركزية» التي كانت في جانب منها تخدم التحكم والسيطرة وسلطة الاعتراف والتكريس، لكنها - في جانب آخر - كانت تخدم تركيز الاجتماع والحوار والتعرّف في مكان عموميّ متاح للمهتمين والجمهور كوجهة.

في عام 1988، كتب أمجد ناصر مقالة عنوانها: «الصحافة الثقافية شللية وامثال»، (14) تحدّث فيها عن «التشابه المريب في المادة الثقافية»، وفي صنع نجوم نافسوا الممثلين والمطربين على العناوين والصور والأخبار، وفي خلط الحابل بالنابل والغث بالثمين، «مثلما تحدّث عن الفرق بين الصحافة الثقافية العربية في خمسينيات وستينيات القرن العشرين التي قدمت «أبرز الأسماء والظواهر في الثقافة العربية» كقصيدة التفعيلة وقصيدة النثر، والانعطافات الجديدة في القصة القصيرة، وبين الصحافة الثقافية في سبعينيات وثمانينات

القرن نفسه التي قطعت الطريق على «المغامرة الفنيّة»، وعززت «الاتجاهات السلفية»، وتحدّث فيه أيضًا عن «الشلل الثقافية» التي تتبادل المنافع وتمدح كتابات بعضها البعض، وتفتح النار على الآخرين، وهي السياقات نفسها التي يتحدّث عنها شريف الشيافي (15) في شرحه الوصف المكثف والمختزل والمعروف في المشهد الثقافي المصري: «الحظيرة»، وهو التعبير الناشئ في «عهد وزارة فاروق حسني، ولا يزال منسجياً على اللحظة الحالية» باعتباره دالاً على أولئك المنخرطين في «منظومة التوجيه السلطويّ، أو دائرة الاستقطاب والتدجين، أو شلل المصالح الضيقة والانتفاعات المتبادلة»، والحظيرة بهذا المعنى تضمّ في ثناياها الصحافة الثقافية باعتبارها معملاً للترويج والتسويق اللذين يعتبرهما روجيه عوطة قتلاً لتلك الصحافة التي تنحدر إلى مستوى الإعلان، حيث «الجميع يتقاسم مع الجميع الحلم الهابط نفسه، حلم الرّواج» (16)

**ليس من المستغرب أن نعاين اليوم خفوتاً كبيراً في دور الصحافة الثقافية، فالعصر هو عصر التسلية والترفيه والتسطيح و«التفاهة»، عصر الأنانية والركض خلف الرّائج والدّارج، مثلما هو عصر التفتيت والتفكيك وترسيخ التبعية والإلحاق.**

يروى شريف صالح طرفة عن الكاتب والصحفي فتحي غانم

تتعلّق بحادثة عزل الرئيس المصري الأسبق أنور السادات لهذا الأخير عن موقعه في رئاسة تحرير مجلة روز اليوسف، لانزعاجه مما تنشره المجلة، إذ يقول غانم إن السادات وصف المجلة بعد تخليصها منه ومن المنغصات النقدية بأنها «بقت ممتازة خالص، ما فيش فيها حاجة تتقري» (17)

إذا، الأزمة ليست جديدة، بل متفاقمة في ظل استمرار الانحدار العام السياسي-الاقتصادي-السيادي، ولعلّ أكبر تعبير عن الأزمة يقع من خلال فاعلي الصحافة الثقافية أنفسهم، فما هو فخري صالح رئيس القسم الثقافي الأسبق في صحيفة الدستور الأردنية ومدير تحرير الدائرة الثقافية الأسبق فيها، يكتب مقالاً في الصحيفة نفسها، يشكو فيه من غياب الحوار في الصحافة الثقافية وافتقاد «حك الأفكار بالأفكار، ما أفضى إلى نوع من الكسل الثقافي والفكري» (18) في حين حارت مواقع وملاحق ثقافية جادة في إيجاد دور لها خلال المجزرة الصهيونية الأخيرة والمتواصلة على غزة وفي عموم فلسطين، إذ يتساءل سليم البيك محرّر موقع رمان الثقافي عن دور وجدوى الصحافة الثقافية في زمن الإبادة، (19) وهو وإن حوّل الموقع بالكامل ليصبح نوعاً من جبهة إسناد ثقافية لغزة - وهو ما فعله أيضاً نجوان درويش المحرر السابق للقسم الثقافي في صحيفة العربي الجديد - إلا أن هذه الاستثناءات تؤكّد القاعدة، وتعيد طرح التساؤل المستمر المتعلّق بالتفكير في الدور المطلوب؛ لغياب هذا الدور بالتحديد.

# المراجع

- (1) محمود، عبدالرحمن. «واقع الصحافة الثقافية العربية وسبل تعزيزها». شبكة الصحفيين الدوليين. 25 أغسطس 2023. <https://shorturl.at/pE2bd>
- (2) حماد، خالد. «مستقبل الصحافة الثقافية من واقع مأزوم إلى مستقبل غائم». الدستور. 8 سبتمبر 2021. <https://www.dostor.org/3564778>
- (3) الخصار، عبد الرحيم. «محنة الصحافة الثقافية في المغرب». الميادين نت. 7 يوليو 2021. <https://shorturl.at/jl097>
- (4) مفرح، سعدية. «الصحافة الثقافية العربية تحتضر». العربي الجديد. 2 فبراير 2023. <https://shorturl.at/YGIIZ>
- (5) الفيتوري، أحمد. «موت الصحافة الثقافية! (1-2)». الوسط. 4 فبراير 2020. <https://alwasat.ly/news/opinions/272256?author=1>
- (6) السيد، هيثم. «هل يمكن إنقاذ الصحافة الثقافية؟». مكة. 22 سبتمبر 2018. <https://shorturl.at/bYfB6>
- (7) الإذاعة الوطنية التونسية. «السلطة الرابعة مع نبيلة عبيد: الصحافة الثقافية بين الموجود والمنشود - الصحفية شادية خذير». 9 أغسطس 2024. فيديو فيسبوك. <https://shorturl.at/WceJU>. مع الصحفية أماني بولعراس. 23 يناير 2025. فيديو فيسبوك. <https://www.facebook.com/EssaidaFm/videos/455496987639029>.
- (8) البستاني، هشام. الكيانات الوظيفية: حدود الممارسة السياسية في المنطقة العربية ما بعد الاستعمار. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2021.
- (9) من هذه الجهود مثلًا المؤتمر الأخير للجمعية الفلسفية الأردنية الذي انعقد بدعم من وزارة الثقافة ومهرجان جرش، وافتتحه وزير الثقافة، وجاء تحت عنوان: «التفكير والفلسفة في مواجهة التكفير». انظر: وكالة الأنباء الأردنية (بترا). «افتتاح المؤتمر الفلسفي العربي الـ13 ضمن فعاليات مهرجان جرش». 24 يوليو 2025. <https://petra.gov.jo/Include/InnerPage.jsp?ID=7765&lang=a>. وأيضًا، ضمن المنطق نفسه: انظروا ملاحظة عبد الكريم المقداد وهو يتساءل عن دور الحكومات في تهميش المثقفين رغم أن هؤلاء يستخدمونها في محاربة التطرف واجتثاثه، والواردة في: موسى، عماد الدين. «الصحافة الثقافية.. بين مطرقة السلطة وسندان التمويل؟ (1)». ضفة الثالثة. 6 سبتمبر 2019. <https://shorturl.at/m1XB1>.
- (10) حاولت رابطة الكتاب الأردنيين، من ضمن محاولاتها المتعددة، تسويق هذا الدور من خلال تشكيل لجنة لم تعمّر طويلًا، سمّيت: «لجنة المشروع الثقافي الوطني الأردني». انظر: المشروع الثقافي الوطني الأردني: خطوة نحو ثقافة وطنية إيجابية. الدستور. 7 يونيو 2022. <https://shorturl.at/CaLiX6>.

11) البستاني، هشام. «الحداثة المتخيّلة والرّهان على السلطة: المثقّف كظاهرة (ما بعد) استعماريّة، والمفكّر الممارس كإمكانية تحريريّة.» المستقبل العربي 548، عدد 47 (أكتوبر 2024): 61-79.

12) أسطع مثال على ذلك هو الصحافة الثقافية والنقد الأدبي اللذان يحايثان مخرجات الجوائز الأدبية، ويرفعانها - دون استحقاق في أغلب الأحيان - إلى مستوى الروائع الأدبية، فمثلاً: إن كان العديد من الروايات الفائزة بالجائزة الدولية للرواية العربية (البوكر العربية) - بتقدير - عادية أو متواضعة أو رديئة فإن رواية إبراهيم نصر الله حرب الكلب الثانية (الدار العربية للعلوم ناشرون، 2016) نموذجية للدلالة على هذا التقدير، لكن مقابل سيل التقريظ والمدح والتبجيل والاحتفاء الصحافي الثقافي الكاسح بهذه الرواية، لم أجد سوى مادتين فقط منشورتين في صحف أو مواقع إخبارية تتناولانها بالنقد، إحداهما على استحياء، وهو مؤشر على التحاق الصحافة الثقافية المعاصرة بالسائد والرائج والفائز من موقع التابع والمصفق السطحيّ. المادّتان الناقدتان المذكورتان هما: ذويب، عبد القادر. «حرب الكلب الثانية: رواية خيال علمي تفتقر للخيال.» ألترا فلسطين. 22 مارس 2018. <https://shorturl.at/p4rqN>. خالد، الشيماء. «حرب الكلب الثانية.. هل تعتمد إبراهيم نصر الله 'ثقوب' روايته؟» 24. 9 يوليو 2018. <https://24.ae/article/450612>.

13) لم يُفرض تحقيق الشرطة البريطانية في اغتيال ناجي العلي في لندن عام 1987 (وأعيد فتحه عام 2017) إلى نتائج، لكن الشكوك لم تدر فقط حول تورط الموساد الإسرائيلي في الواقعة، بل حول منظمة التحرير الفلسطينية أيضاً التي انتقدها العلي في رسوماته بحدة، وتلقى تهديدات منها، آخرها قبل أسابيع أربعة من إطلاق النار عليه، فيما يروي ناجي نفسه عن ضغوط مورست من قبل السعودية ومنظمة التحرير لترحيله من الكويت إلى لندن حيث يمكن قتله دون أن يُعرف المتسبب. Quitaz, Suzan. "Who Killed Naji al-Ali, Palestine's Most Beloved Artist?" The New Arab. 29 August 2017. <https://www.newarab.com/analysis/who-killed-naji-al-ali-palestines-most-beloved-artist>.

14) ناصر، أمجد. «الصحافة الثقافية شللية وامثال.» 1988. نُشر في مجلة الناقد وأعيد نشره في الوطن 13 يونيو 2024. <https://www.alwatan.com.sa/article/1148535>.

15) الشافعي، شريف. «الصحافة الثقافية المصرية.. الوجد الخاصّ في قلب أزمة عامّة.» المدن. 15 أيلول 2021. <https://shorturl.at/Rs7xW>.

16) عوطة، روجيه. «قتل الصحافة الثقافية.» المدن. 27 سبتمبر 2018. <https://shorturl.at/ifRkR>.

17) موسى، عماد الدين. الصحافة الثقافية.. بين مطرقة السلطة وسندان التمويل؟ (1). «ضفة» ثلاثة. 6 سبتمبر 2019. <https://shorturl.at/m1XB1>.

18) صالح، فخري. «الصحافة الثقافية وغياب الحوار.» الدستور. 20 أيار 2010. <https://www.addustour.com/articles/451976>.

19) البيك، سليم. «الصحافة الثقافية وزمن الإبادة.. في تجربة «رمان الثقافية»» سين 1.48 شباط 2024. <https://scene48.org/articles/belkhat-alareed/alshaf-althkafy-ozmn-alabad-fy-tgrb-rman-althkafy>



قراءات تسنيم  
Tasneem Reads

# المحتوى الثقافي على المنصات الرقمية.. من النخبوية إلى الجمهور الواسع

تسنيم ذهب

بعد أزمة الملاحق الثقافية في الصحف والمجلات المطبوعة وتراجع الإقبال على المحتوى الثقافي في الإعلام التقليدي، تبرز المنصات الرقمية كمساحة حرة تتجاوز قيود الإنتاج وضغوط البرمجة. تسنيم ذهب، اختارت أن تنتج محتوى ثقافيا يصنف عادة بالنخبوي، لكن برؤية جديدة تسعى إلى الوصول إلى أوسع شريحة من الجمهور. كيف حققت هذه المعادلة الصعبة في الجمع بين محتوى نخبوي ومنصات مصممة بالأساس للترفيه؟

كنت أعيش في الخرطوم في وسط ثقافي سمته الأساسية النقاش المفتوح، من اللقاءات والفعاليات والمنشآت التي تُقام في معظمها بمجهدات فردية إلى بيع الكتب في ساحة «أتني» ونواحي جامعة الخرطوم والمحطة الوسطى بحري والفرّاشين في سوق أمدرمان، وحتى أبسط الجلسات بين الأصدقاء في المراكز الثقافية كانت دسمة. كانت أجواء المثقفين في الخرطوم ديناميكية وثرية بشكل استثنائي.

بعد هجرتي إلى الخليج، انفصلت قليلاً عن ذلك الوسط الذي شكّل هويتي الثقافية الأولى، اندمجت مع مجتمعات أغلبها عربية تحمل هموماً متفاوتة تتقاطع مع السوداني لكنها لا تشترك معه. ففي هذا الوسط الجديد تبدو أسماء مثل تشينوا أتشيبي ونغونغي وا ثيونغو وتشيماماندا أديتشي غير مألوفة - وهي أسماء كنا نقبل عليها في السودان - حتى بين السودانيين، هيمن اسم واحد فقط هو: الطيب صالح وموسم هجرته إلى الشمال دوناً عن بقية أعماله ودوناً عن أسماء أخرى لمؤلفين سودانيين. شعرت بفجوة بين العربي والأفريقي، شيء أشبه بالقطيعة الثقافية رغم توفر ترجمات تكاد تكون نادرة لهؤلاء الكتاب لكنها أبعد ما تكون عن مكتبة القارئ العربي الذي لديه معرفة بالأدب الروسي وأدب أمريكا اللاتينية مثلاً.

لقد شعرت بالمسؤولية تجاه المكتبة الثقافية الفريدة التي وضعتها بين يدي تجربتي في الحياة الثقافية بالسودان، وفكرت في لحظة: كيف سأوصل ما انقطع؟ من أين أبدأ؟ ما الذي سأقوم بتقديمه وكيف يمكن أن ينجح؟ وإن كانت الإجابة هي

إنتاج محتوى ثقافي على وسائل التواصل الاجتماعي فكيف سيغدو محتوى يتسم بالخبوية في منصات تقول صراحة إنها تدعم المحتوى الترفيهي؟ كيف سأصل إلى جمهور يسحب شاشة هاتفه هارياً من الحياة اليومية؟ كيف سأقدم محتوى هدفه الأساسي دفع الجمهور لترك هواتفهم والتنقيب في رفوف المكتبات؟

عندما أنشأت حساب «قراءات تسنيم» على منصتي إنستجرام وتيك توك بهدف مشاركة مكتبتي الشخصية من الأدب الأفريقي جنوب الصحراء، طرحت سؤالاً في أول مقطع فيديو نشرته على الحساب، واعتبرته أساسياً لتقديم نفسي للجمهور وتعريفهم باتجاهات المحتوى: لماذا يجب أن نقرأ الأدب الأفريقي من جنوب الصحراء؟

قدمت - وقتها - تبريراتي؛ إذ أعتقد أن النظرة النمطية التي يتم بها الحديث عن أفريقيا غير منصفة، حيث ينحصر السياق الأفريقي في التغطية الإعلامية غالباً في الشأن السياسي، ونرى القارة كلها - الدول الأربع والخمسون بصفقتها - منطقة جغرافية واحدة - تطمس أعراقها المتعددة وتنوعها الغني، وتُحصر الأخبار عنها في الحروب والمجاعات والانقلابات العسكرية، وفي أكثر الصور إيجابية ينظر إليها باعتبارها أرضاً خاماً للاعبين كرة القدم الموهوبين أو كمحمية ضخمة للطبيعة والحيوانات البرية، وفي كل تلك الصور تبقى هوية الإنسان الأفريقي مهمة وعجائبية وبعيدة في ظل المشهد.

من جانب آخر، وعلى الرغم من النبوة المتعالية التي قد يتحدث بها بعض المثقفين عن الأدب، فقد كانت رؤيتي له أنه بوابة اجتماعية

للتعرف على الشعوب، وأفق لفهم الإنسان، آماله وطموحاته وأحلامه وإرثه الحضاري والثقافي. إنه الأداة التي تكتب بها الشعوب وتعبّر بها عن نفسها، هو صوتهم الأصيل في عالم يتنافس للحديث عنهم وباسمهم.

من هنا بدأت تتناسل أسئلة أخرى أكثر ارتباطاً بالمشروع الذي أعمل عليه:

لماذا يجب أن تعرف أنت أيها القارئ العربي عن الأدب الذي كتبه الأفارقة بأنفسهم؟ لماذا يبدو مصطلح الأدب الأفريقي غير مألوف؟ وما الذي يمكننا استخلاصه من معرفة هذا الأدب؟ وربما هذه الأسئلة هي التي دفعت الكثير من القراء إلى متابعة هذا المحتوى، بل ودفعتني إلى الشغف بالمواصلة.

كيف سأوصل ما انقطع؟ من أين أبدأ؟ ما الذي سأقوم بتقديمه وكيف يمكن أن ينجح؟ وإن كانت الإجابة هي إنتاج محتوى ثقافي على وسائل التواصل الاجتماعي فكيف سيغدو محتوى يتسم بالخبوية في منصات تقول صراحة إنها تدعم المحتوى الترفيهي؟

انتهجت في حساب «قراءات تسنيم» مبدأ الحز على القراءة؛ حيث أقدم مقطع فيديو قصيراً مدته دقيقة ونصف أعرض فيه قصة

الكتاب بطريقة مشوقة، وأشارك مع الجمهور الأفكار والانطباعات التي تكوّنت لدي بعد قراءة رواية ما، متجنباً التلخيص أو السرد الطويل لتفاصيل وأحداث الرواية؛ إذ أعتقد أن الملخصات تفوّت على القارئ متعة اكتشاف الكتاب بنفسه، آملة أن تدفع طريقتي المتابعين للبحث عن هذه الكتب وفتح المجال للمناقشة وتبادل الآراء، والانتباه لمكتبة فريدة واستثنائية وساحرة وملهمة كما أراها وهي: الأدب الأفريقي.

خلال عام ونصف تقريباً من تقديم مراجعات للأدب الأفريقي شعراً ورواية على منصات التواصل الاجتماعي (قراءات تسنيم)، وهو محتوى يتسم بالخبوية مثل أي محتوى ثقافي آخر، كنت أتلقى ردود فعل إيجابية تنبهنني إلى أن المحتوى استطاع تحقيق تفاعل جيد مع جمهور هذه المنصات الذي تبين أنه متعطش للقيمة العالية والمحتوى الهادف الذي يمثله، يتفاعل معه عندما يتعثر به، وهو الأمر الذي كشف لي حاجة المجتمعات العربية للمحتوى «الجاد».

تقدم منصات التواصل الاجتماعي فرصة للمثقفين لاخترق أوساط عمرية واجتماعية وجغرافية أوسع، وقد يصل المحتوى إلى هذه الشرائح وتتفاعل معها في أوقات وقوالب تناسبهم. إن هذا النوع من الاستقلالية الرقمية كان مقيداً في وسائل الإعلام الأخرى خاصة تلك التي توصف بالتقليدية، فالالتزام بالمحاور المعدة مسبقاً والسياسة التحريرية وعدد الكلمات وزمن البث المحدود بالإضافة لعدم تمكن الجمهور من التفاعل مع الضيف أو فكرته، كلها عوامل كانت تتغلب على مصلحة القارئ أو المشاهد.

صحيح أن منصات التواصل الاجتماعي تدعم الترفيه لكنها توضح أيضاً أن



منحت المنصات الرقمية المحتوى الثقافي مساحة من الاستقلالية عن المؤسسات التقليدية وأتاحت للأصوات الفردية أن تتحدث باسمها وتخلق سرديات بديلة (تصوير: إريك لافورج - غيتي).

في كل أفق جديد ويمدوا أيديهم للأبواب المفتوحة، ويزرعوا إنتاجاتهم في الحقول التي حتماً ستزهر حتى يتمكن المتابع العربي من العثور على محتوى يشبه ويمثله.

لا يقتصر - في نظري - دور الصحافة الثقافية فقط على نقل أخبار المثقفين والأحداث الفنية هنا وهناك، بل يجب عليها أن تشتبك بالواقع وتقدم قراءة متأنية له، أن تنغمس في تحليله ونقده، وأن تعزز الروابط بين المعرفة والتحويلات الاجتماعية والسياسية، وأن تشارك الفرد في محاولات الخروج به من مأزقه. والحال أن المنصات الرقمية منحت المحتوى الثقافي مساحة من الاستقلالية عن المؤسسات التقليدية وأتاحت للأصوات الفردية أن تتحدث باسمها وتخلق سرديات بديلة، ووضعتها في موقف لا تحظى فيه بترف الانسحاب من المشهد الرقمي بل أعطتها الفرصة لتساهم في إعادة تشكيله.

يُقاطِعُ المستنيرون مساحات الإنتاج ويتركونها للهواة أو المغامرين أو المتحمسين للتجربة؟ أعتقد أن رتق الفجوة هو مسؤولية المثقف؛ أن يتصدر المشهد ويقترح بشجاعة الفضاءات الجديدة لتقديم محتواه بأشكال جديدة.

إن تخوُّف المثقفين من دخول مضمار منصات التواصل الاجتماعي يبدو فكرة مغلقة؛ ذلك أنه ينبغي الحديث بأدوات العصر ولغته، وألا تُنتج الثقافة وتستهلك في دوائر مغلقة بمعزل عن بقية المجتمع، بل أن تُستخرج من الكتب والأوراق العلمية والمنتديات المغلقة لتشتبك مع المجتمع. يجب ألا يترك المثقف الساحة الإنتاجية للأشخاص الأكثر حماسة الذين ربما لا يملكون بوصلة فكرية أو تحريرية أو حتى أخلاقية كما يملكها بعض المثقفين على الأقل. ومن شأن ذلك ألا يترك الساحة للمحتوى الضعيف الذي ينتشر فقط لأنه يلائم منطق المنصة، بل عليهم أن ينخرطوا

تُقدم منصات التواصل الاجتماعي فرصة للمثقفين لاختراق أوساط عمرية واجتماعية وجغرافية أوسع، وقد يصل المحتوى إلى هذه الشرائح وتتفاعل معها في أوقات وقوالب تناسبهم. إن هذا النوع من الاستقلالية الرقمية كان مقيداً في وسائل الإعلام الأخرى خاصة تلك التي توصف بالتقليدية.

خوارزمياتها تدفع بالمحتوى المعرفي والأصيل (1) الذي يُقدم قيمة فريدة (2) وتمكّنه من الوصول إلى المتابعين، فمثلاً تقر منصة يوتيوب في نظام توصيات مقاطع الفيديو أنه صمم «لمساعدة المستخدمين في العثور على الفيديوهات التي يرغبون في مشاهدتها والتي تُقدم لهم قيمة مُضافة»؛ (3) إذ تحوّل الجمهور إلى هذه المنصات الرقمية بحثاً عن المعرفة خارج وسائط الإعلام التقليدية.

لا يبدو الأمر بهذه السهولة دائماً، فثمة تحديات أخرى للإنتاج على المنصات الرقمية؛ إذ عليك مجاراة كثافة الإنتاج وسرعة الاستهلاك والحاجة الملحة لخلق تجربة بصرية جذابة، وعليك بصفته صانع محتوى ثقافي أن تنجو بما تقدمه من الغرق في وحل التسطيح الشديد للمعلومة حتى تتكيف مع طيف واسع من المستخدمين.

عندما أقرأ انتقادات على المحتوى الذي يُتهم أنه لا يمثل المجتمع أو لا يُقدم قيمة تذكر، أتساءل: لماذا

## المراجع

(1) TikTok. "An Update on Our Work to Safeguard and Diversify Recommendations." TikTok Newsroom. December 16, 2021. <https://newsroom.tiktok.com/en-us/an-update-on-our-work-to-safeguard-and-diversify-recommendations>.

(2) Meta. "Our Approach to Facebook Feed Ranking." Meta Transparency Center. Updated June 11, 2025. <https://transparency.meta.com/features/ranking-and-content/>.

(3) Goodrow, Cristos. "On YouTube's Recommendation System." YouTube Blog. September 15, 2021. [https://blog.youtube/inside-youtube/on-youtubes-recommendation-system/?utm\\_source=chatgpt.com#:~:text=that%20will%20give%20them%20value](https://blog.youtube/inside-youtube/on-youtubes-recommendation-system/?utm_source=chatgpt.com#:~:text=that%20will%20give%20them%20value).



# الصحافة الثقافية التي لا تنفصل عن محيطها

سعيد خطيبي

الصحافة الثقافية هي مرآة للتحوّلات السياسية والاجتماعية، ولا يمكن أن تنفصل عن دينامية المجتمعات. من مقال «أتهم» لإيميل زولا إلى كتابات فرانز فانون المناهضة للاستعمار الفرنسي، اتخذت الصحافة الثقافية موقفاً مضاداً لكل أشكال السلطة. لكن هذا الدور بدأ يتراجع في العالم العربي، على الخصوص، بفعل عوامل كثيرة أبرزها على الإطلاق: انحسار حرية الرأي والتعبير.

عقب ما تعرّضت له الثقافة العربية، من هزّات، لا سيما في النصف الثاني من القرن الماضي، بات من الصعب حصرها في تعريف واحد جامع؛ نظرًا إلى تقلص هوامش الحرية، وميزانيات الثقافة في الحكومات العربية. وعندما تتراجع الثقافة خطوة إلى الوراء، تدفع الصحافة الثقافية الثمن؛ لأن الاثنين مرتبطان ارتباطاً وثيقاً، ففي وقت مضى كانت الصحافة الثقافية جزءاً من حياة الناس، ثم وجدت نفسها في الصف الأخير، فكيف وقع هذا الانقلاب؟

أنتمي إلى بلد إذا أبلغت أحدا فيه عن ممارستي للصحافة، فسوف يظن أنني أكتب في شؤون السياسة، وأني أجالس رؤساء أحزاب أو أعرف أولئك المحليين الذين يظهرون في نشرات الأخبار. وفي حالات أخرى قد يظنون أنني منشغل بأحوال الكرة، وقد يسألونني من غير تردد عن أخبار فريق أو عن لاعب أو مباراة. بل حصل أن زارني في البيت وفد من مشجعي فريق كرة، والتمسوا مني مقالاً من أجل نصره فريقهم الذي خسر مباراة نظير تحييز الحكم، ولما أعلمتهم أنني أشتغل في شؤون الثقافة لا غيرها، لمحت حيرة في وجوههم، وكأني خنت ثقتهم أو واجهتهم بقول غير محبب. لقد وجدوا مشقة في فهم عملي، وتعذّر عليهم فهم كلمتي: ثقافة وصحافة ثقافية. ثم تناسلت أسئلتهم عن جدوى عملي، ولماذا أكتب في هذه المواضيع دون غيرها. وأظن أن الحال يتشابه في الكثير من الأقطار العربية؛ لأن الثقافة مصطلح من مطاط، تتسع مجالاتها من غير حصرها في تعريف واحد وشامل.

ولأن الصحافة الثقافية قد تعدّدت مداخلها ومخارجها، رفضت أن ترتبط

بتعريف واحد، وغامرت في حقول شتّى، ولم يعد من السهل تقييدها في حيز ضيق. كما أن الثقافة في حدّ ذاتها خضعت إلى تأويلات لم تخل من أنانية، في السنين الأخيرة، وصارت مرادفاً للفلكلور والمتعة في أذهان البعض، وجرى تجريدها من قيمتها وتهافت إلى معانٍ سطحية. وعندما تعرّض الثقافة إلى سوء فهم، أو يقل الاهتمام بها فإن الصحافة الثقافية تدفع الفاتورة.

اشتهر فرانز فانون بوصفه طبيياً نفسياً، ثم مختصاً في حركات التحرّر، وقد كتب عن العلاقات المتشابكة بين المستعمر والمستعمّر، ثم انضم إلى حرب التحرير في الجزائر، وصار في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي صحفياً في جريدة «المجاهد». يكتب في هذه الجريدة عن التعذيب وتبعاته النفسية، لكنه يوقع كذلك مقالات - بأسماء مستعارة - عن موضوعات ثقافية (نظراً إلى ظروف الحرب عاش فانون بهوية مستعارة، وحمل جواز سفر باسم إبراهيم عمر)، وبعد أن صار صحفياً يكتب في شؤون سياسية وأخرى ثقافية، يتعرّف إلى جان بول سارتر (الذي كتب توطئة كتابه الأشهر: المعذبون في الأرض). حصل تقارب بين الرجلين، واستفادت الصحافة الثقافية من هذا الأمر، مثلما استفادت منه الجزائر وكذلك حركات التحرّر في أفريقيا.

لقد أدى جان بول سارتر دوراً سياسياً في المسألة الجزائرية، مطلع الستينيات من القرن الماضي، حيث كان مشرفاً على مجلة «أزمة حديثة» (Les Temps modernes) المختصة في الشؤون الثقافية والفكرية. ذلك أن اسم الجزائر لم يرد في روايات الرجل ولا في أعماله المسرحية، لكنه حضر في مقالاته الثقافية في المجلة، مثلما ورد في

مقالات كتاب آخرين استكتبهم فيها. كرّست تلك المجلة خطّها التحريري في نقد الآلة الاستعمارية، وفي معارضة سياسة بلده، ثم انضمت إليه في مساعيه سيمون دوبوفوار، الكاتبة الفرنسية، وغيرها من كتاب الصف الأول في فرنسا، ثم فنانون على غرار بيكاسو.

كان بالإمكان أن ننظر إلى مقالات مجلة مثل «أزمة معاصرة» أنّها ثقافية فحسب، تعالج مسألة الإستعمار من وجهة نظر فكرية، لأنها لم تكن تنزع إلى الإثارة أو تجييش العواطف، لكن العكس تماماً هو الذي وقع، وبسبب مقالاته تعرّض جان بول سارتر إلى حملة تشويه واسعة من طرف أقصى اليمين، بل وصل الأمر إلى حرق بيته، ثم تهديده بالقتل، وانطلقت دعوة من أجل اعتقاله، فتلقّظ شارل ديغول بمقولته الشهيرة: «لا يمكن أن نسجن فولتير». وجاء اسم فولتير مجازاً يحيل على مبدأ ثابت: لا يمكن أن نسجن مثقفاً.

لأن الصحافة الثقافية قد تعدّدت مداخلها ومخارجها، رفضت أن ترتبط بتعريف واحد، وغامرت في حقول شتّى، ولم يعد من السهل تقييدها في حيز ضيق. كما أن الثقافة في حدّ ذاتها خضعت إلى تأويلات لم تخل من أنانية، في السنين الأخيرة، وصارت مرادفاً للفلكلور والمتعة في أذهان البعض، وجرى تجريدها من قيمتها وتهافت إلى معانٍ سطحية.



أدى جان بول سارتر دوراً سياسياً في المسألة الجزائرية، مطلع الستينيات من القرن الماضي، حيث كان مشرفاً على مجلة «أزمة حديثة» المختصة في الشؤون الثقافية والفكرية (غيتي).

رواية «الغريب» من صفته كصحفي مختص في شؤون الثقافة، ليقلب الصورة التي ترسّخت في الأذهان عن أدوار الصحافة الثقافية، ويرسخ صورة جديدة عن إمكانية تأثيره في الرأي العام والمشاركة في القضايا المشتركة، مثلما فعل إميل زولا في قضية دريفوس التي قسمت فرنسا إلى تيارين كبيرين.

ففي شتاء 1898، نشر إميل زولا مقالا بعنوان: «إنني أتهم»، دفاعاً عن الضابط ألفريد دريفوس، الذي اتهم جزافاً بتسريب وثائق ومعلومات إلى الألمان، وشنت ضده حملة تشويه واسعة وجرى اعتقاله وتهجيره وحكم عليه بالمؤبد، قبل أن ينتصر له كاتب، بمقال ثقافي، كان أقرب إلى الرسالة، من أجل ردّ

السادسة والعشرين من عمره، كتب في الصحافة الثقافية وكتب كذلك في الشأن العام في جريدة (ALGER REPUBLICAIN)، ونشر عام 1939 استطلاعاً يزاوج بين الصحافة الثقافية والاستقصاء الصحفي، أحدث زلزالاً في فرنسا والجزائر. جاء الاستطلاع (الذي نُشر في حلقات)، بعنوان: الشقاء في القبائل (1) -وهي منطقة أمازيغية تقع في شمال الجزائر-.

في هذا الاستطلاع يحكي ألبير كامو عن الحياة القاسية التي يعيشها السكان، وهي حياة لا تقل مشقتها عن حيوات الحيوانات في زمن كان فيه الاستعمار يروج لدوره الحضاري وإلى أفعاله الحضارية (كما قال) في شمال أفريقيا. لقد استفاد صاحب

هكذا أوصلت الصحافة الثقافية جان بول سارتر إلى محاكمات شعبية، فالحرب لم تكن حكرًا على ساسة أو عسكر، بل أكثر من تعرّض فيها إلى الخطر مثقفون، والسبب هو كتاباتهم في الصحافة الثقافية التي تحولت إلى شأن سياسي وعام وبوصلة لتوجيه الرأي العام.

عندما تتراجع السياسة خطوة إلى الوراء، أو تتوارى من أجل الحفاظ على توازنها أو مصالحها، تنوب عنها الصحافة الثقافية، وتصير مؤشراً يُحيل الناس إلى القضايا التي تعنيهم أو تمس حياتهم اليومية. ولعلنا نتذكّر في هذا السياق ألبير كامو، فقبل أن تشتهر رواياته، وتحوّل أعماله المسرحية إلى مقصد الجمهور، وقبل أن يتمّ

منها - بفعل أقلام كانت تنشط في الصحافة الثقافية، ورغم أن ذلك قد يبدو غير قابل للتصديق، إلا أن العودة إلى سيرة رادوفان كارادجيتش، زعيم صرب البوسنة الذي لقب بـ«جزار البلقان»، تكشف مفارقة صادمة: فقد كان الرجل شاعراً قبل الحرب، ينشر مقالاته النقدية في الصفحات الثقافية، قبل أن يصبح أحد مهندسي الإبادة الجماعية، متسبباً في مجزرة سربرنيتسا التي راح ضحيتها أكثر من سبعة آلاف إنسان خلال أربعة أيام فقط.

الجسدية كما حدث في الجزائر أثناء العشرية السوداء، إذ كان من أوائل ضحاياها، صحافي وكاتب اختص في الشأن الثقافي، كان يكتب مقالات ونقداً أدبياً وفنياً، قبل أن تُصيبه رصاصات جماعة إرهابية، ونقصد الطاهر جاعوط ثم تعددت اغتاليات صحفيين ثقافيين، من بينهم بختي بن عودة عام 1995، وآخرين.

غالباً ما تتجاهل أن حرب البوسنة والهرسك في تسعينيات القرن الماضي اشتعلت نارها - في جانب

الاعتبار إلى الرجل. يؤدي زولا دوراً في حسم قضية دريفوس وفي تبرئته، وأن تعود العدالة إلى مجراها. لكن قبل أن يبلغ مبتغاه فقد أتهم زولا بمعاداة السلطنة، وجرت محاكمته ثم خرج سالماً، وكانت تلك أول مرة يُحاكم فيها كاتب بناءً على مقال ثقافي.

في عقود لاحقة تتعدّد محاكمات كتاب أو صحفيين في الشأن الثقافي بالنظر إلى قدرتهم على التأثير، ليصل الأمر حد التصفية

**الهزات التي تعرّضت لها الصحافة في الوطن العربي من تضيق ورقابة ومن ملاحقات أو سجن أو نفي لصحفيين انعكس على ممارسة الصحافة الثقافية؛ فتحوّلت من مقارنة الرأهن إلى الخضوع له، متجاوبة مع ما يطلق عليه «المتفق عليه سياسياً». أي أنها لا تخوض في مواضيع مختلف عليها.**



كيف انتقلت الصحافة الثقافية من تحريك المياه الزاكرة إلى الرّكود؟ وهذا سؤال مشروع. كانت صحافة يقظة، تنظر من حولها دون أن تطرف عينها، فكيف تحوّلت من لاعب أساسي في الحياة العامة تُجادل في شؤون تخصّ الناس العاديين، إلى مجرد كومبارس يتشابه حضورها مع غيابها؟

نشر الكاتب الفرنسي إميل زولا مقالاً بعنوان: «إنني أتهم» برأ فيه الضابط ألفريد دريفوس المتهم بالخيانة، ثم أصبح مرجعاً في الصحافة العالمية.



كان «جزار البوسنة» كارادجيتش شاعرا قبل الحرب، ينشر مقالاته النقدية في الصفحات الثقافية، قبل أن يصبح أحد مهندسي الإبادة الجماعية ( سيرجي ليغنتبرغ - غيتي).

صارت صحافة تعلي من شأن الخبر وتستبعد الرأي. وعندما يختفي الرأي الثقافي يختفي الجدل، وعندما يحتجب الجدل، تتحوّل إلى صحافة استعجالية، تنتهي صلاحيتها بنهاية اليوم الذي صدرت فيه؛ لأن حرية التعبير تؤدي إلى حرية المحاكمات، مثلما يقول أحدهم.

كما أن الصحافة الثقافية تخلت عن واحد من أدوارها الأساسية التي سادت في الماضي، ويتعلّق الأمر باكتشاف المواهب والأسماء الواعدة. وإن كنا في المنطقة العربية نفتخر أن نجيب محفوظ حاز نوبل للأدب (1988)، فإننا ننسى أنه بدأ من الصحافة الثقافية، حيث نشر أول أعماله في مطبوعات ثقافية (مثل مجلة الرسالة)، بل إن بعض رواياته صدر بشكل سلسلة في جريدة قبل أن يصير نصًا مطبوعًا (على غرار

ونادرًا ما تنتبه إلى تخصيص برنامج للثقافة، والأمر يعود إلى عوامل شتى. لأن الهزات التي تعرّضت لها الصحافة في الوطن العربي - لا سيما في نصف القرن الماضي - من تضيق ورقابة ومن ملاحقات أو سجن أو نفي لصحفيين انعكس على ممارسة الصحافة الثقافية؛ فتحوّلت من مقاربة الرّاهن إلى الخضوع له، متجاوبة مع ما يطلق عليه «المتفق عليه سياسيًا». أي أنها لا تخوض في مواضيع مختلف عليها.

لقد اختفى الرّأي من الصحافة الثقافية، مثلما اختفت فيها وجهة النّظر، وصارت صحافة خبرية، إذ يكفي تصفح صفحة الثقافة في جريدة، بغض النّظر عن اسم البلاد العربية التي صدرت منها، نطالع مواد من نوع: أصدر فلان كتابًا، انتظم حفل، دشّن فلان معرضًا...

إن كنا في المنطقة العربية نفتخر أن نجيب محفوظ حاز نوبل للأدب (1988)، فإننا ننسى أنه بدأ من الصحافة الثقافية، حيث نشر أول أعماله في مطبوعات ثقافية (مثل مجلة الرسالة)، بل إن بعض رواياته صدر بشكل سلسلة في جريدة قبل أن يصير نصًا مطبوعًا.



اشتهر فرانس فانون بوصفه طبيباً نفسياً، ثم مختصاً في حركات التحرر قبل أن ينضم إلى حرب التحرير في الجزائر، وصار في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي صحفياً في جريدة «المجاهد» (إتترنت).

عن علاقته العضوية مع المثقفين والمبدعين العرب (الذين تشبثوا في المهاجر)، فبات يتعامل مع المنتج الثقافي مثل من يتعامل مع عبوة غسول، من غير وضع النتائج الثقافي في سياقات سوسيولوجية أو سياسية، بمعنى آخر يفصل الثقافة عن محيطها.

إعلام يتيح مساحة أوسع، لكنه يضيق من هامش الحرية. بالتالي، مهما اتسع الفضاء في الصحافة الثقافية أو تضائل فإن المنتج متشابه، في ظل انحسار الحريات وترهل السياسات الثقافية، في بلدان عربية، مما ينعكس سلباً على أداء الإعلام الثقافي، الذي تنازل

رواية: أولاد حارتنا). وكذلك الحال مع عدد لا يستهان به من الكتاب العرب، الذين تبوؤوا الصف الأول، وكلهم خرجوا من عباءة الصحافة الثقافية، مثلما خرج منها إيميل حبيبي أو محمود درويش وآخرون.. فما هي الأسماء الجديدة التي تصدّرت المشهد الأدبي والثقافي بفضل الصحافة الثقافية، على الأقل في العقدين الماضيين؟ بالكاد نذكر اسماً واحداً؛ لأن مساحات صفحات الثقافة قد تقلصت، ومثلما لم تعد تتسع للرأي فإنها لم تعد تتسع لنشر فصول رواية أو قصائد جديدة. مع ذلك من المحجف أن نعّم هذه الملاحظة، لأن ثمة من الصحف من يمسك على الجمر ويقاوم، لكنها مقاومة محفوفة بالمخاطر، بحكم أن الإعلام الثقافي في تآكل، نظراً إلى سطوة الإعلام الجديد، في الفضاء الرقمي، وهو

## ”المراجع

(1) يمكن قراءة التحقيق على هذا الرابط:

[https://www.marxists.org/francais/general/camus/Albert/.20-Camus/.20-%20Kabylie.pdf?utm\\_source=chatgpt.com](https://www.marxists.org/francais/general/camus/Albert/.20-Camus/.20-%20Kabylie.pdf?utm_source=chatgpt.com)



# الصحافة والنقد الثقافي.. التاريخ من منظور ضحاياه لا من وجهة نظر جلاديه

عبد العزيز العمراني

ينطلق المقال من فكرة أن الصحافة مكون أساسي من النقد الثقافي بوصفها مجالاً لإنتاج المعنى وصراع التمثيل، بين وظيفة تعيد إنتاج الهيمنة عبر الصور النمطية وتحديد الأصوات، ودور نقدي ديكلونيالي يفتح المجال أمام سرديات مضادة تنتمي إلى الهامش وتؤسس لفضاءات معرفية أكثر عدلاً وتعدداً.

يُعرّف النقد الثقافي بوصفه مقارنة تحليلية متعددة الاختصاصات؛ تُعنى بفهم كيفية تشكل المعاني والقيم والهويات ضمن سياقات السلطة، وتفكيك الأنساق الرمزية التي تنتجها البنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وقد نشأ هذا الحقل المعرفي في ستينيات القرن العشرين في إطار ما يُعرف بالدراسات الثقافية البريطانية، متأثراً بأعمال رواد مثل رايموند ويليامز، وستيوارت هول، وأنطونيو غرامشي، قبل أن يتسع لاحقاً ليشمل مساهمات الفكر ما بعد الكولونيالي والديكولوجي (ما بعد الاستعمار ونزع الاستعمار). وتتجلى أهمية هذا الامتداد في أنّ ما بعد الكولونيالية تُركّز على تحليل الخطاب الاستعماري وتمثلاته الثقافية، كما في أعمال إدوارد سعيد، بينما تسعى الديكولوجيا إلى تجاوز هذا التحليل نحو إنتاج معرفة بديلة تنطلق من موقع المهمشين - كما يطرح والتر مينيولو - بما يُعيد الاعتبار لمركزية الجنوب في صياغة المعنى وتمثيل الذات. ويقوم النقد الثقافي على مساءلة ما يُقدّم باعتباره طبيعياً أو بديهياً في الثقافة، من خلال الكشف عن خلفياته الأيديولوجية وارتباطه بالبنى المهيمنة. وتمثل الصحافة - في هذا السياق - مجالاً مركزياً لاهتمام النقد الثقافي؛ نظراً لكونها من أبرز أشكال الإنتاج الرمزي وأكثرها تأثيراً في تشكيل الوعي الجمعي وتوجيه الرأي العام، فهي لا تقتصر على نقل الأخبار أو المعلومات، بل تمارس فعلاً تأويلياً وصياغياً للواقع، يُعيد ترتيب الأحداث ضمن سرديات ومعان قد تخدم أجندات سياسية أو اقتصادية أو ثقافية محددة. وبذلك تُصبح الصحافة فضاءً للصراع الرمزي، حيث تتقاطع السلطة والمعرفة في إنتاج التمثيلات، سواء تعلّق الأمر بالسياسة، أو الاقتصاد أو الهوية أو التاريخ.

تنوع تمثيلات الصحافة ضمن الخطاب النقدي؛ ففي المنظور المهيمن، تُقدّم الصحافة بوصفها سلطة رابعة محايدة، تسعى إلى إطلاع الجمهور على الحقائق وتمكينه من اتخاذ قرارات واعية. غير أن النقد الثقافي يكشف محدودية هذا التصور، مبرزاً كيف يمكن للصحافة أن تتحول إلى أداة لإعادة إنتاج الهيمنة، عبر ترسيخ الصور النمطية، وتهميش الأصوات المعارضة، وتطبيق سياسات المركز على حساب الهامش. وفي المقابل، ثمة تمثيل بديل يرى في الصحافة ممارسة نقدية قادرة على مساءلة السلطة، وكشف تحيزات الخطاب السائد، وفتح المجال أمام سرديات مضادة تُعيد الاعتبار للتجارب المهمّشة، وهو ما يتقاطع مع مشاريع ما بعد الكولونيالية والديكولوجيا التي تسعى إلى تفكيك مركزية الغرب واستعادة التعددية المعرفية والثقافية. من هذا المنطلق، يتناول هذا المقال الصحافة بوصفها أداةً وجزءاً لا يتجزأ من النقد الثقافي، ليس فقط من حيث قدرتها على تحليل الواقع وتمثيله، بل أيضاً من حيث إمكاناتها في تقويض الخطاب المهيمنة، وإنتاج بدائل معرفية وثقافية أكثر شمولاً وعدالة.

## الصحافة داخل خطاب النقد الثقافي: أداة للهيمنة؟

منذ نشأة حقل الدراسات الثقافية في ستينيات القرن العشرين، احتل الإعلام، وعلى رأسه الصحافة، موقعاً محورياً في النقاشات النظرية حول السلطة والمعرفة والتمثيل. وقد ذهب رواد هذا الحقل إلى اعتبار الصحافة أداة أيديولوجية مركزية في تشكيل الوعي الجمعي، لا تعكس

الواقع بقدر ما تُعيد صياغته وفقاً لمصالح القوى المهيمنة. فكما يوضح رايموند ويليامز، فإن الإعلام ليس مرآة محايدة، بل قوة بنوية تُعيد إنتاج الواقع ضمن منطق النظام الليبرالي والرأسمالي، حيث تُقدّم مفاهيم كالحرية والسوق والديمقراطية التمثيلية بوصفها معطيات طبيعية لا تقبل المساءلة. ويعرّز ستيوارت هول هذا الطرح من خلال تحليله لعملية التواصل الإعلامي موضحاً أن الرسائل الإعلامية مُشفّرة بأبعاد أيديولوجية، وأن المتلقين لا يتفاعلون معها بطريقة موحّدة، بل بحسب مواقعهم الاجتماعية والثقافية، وهو ما يفتح المجال لتعددية في التلقي: مهيمنة، تفاوضية، أو مقاومة. ومن هنا، تصبح الصحافة ساحة للصراع الرمزي على المعنى، وهي الرؤية التي تتقاطع مع مفهوم «الهيمنة» لدى أنطونيو غرامشي الذي يرى أن السلطة لا تمارس فقط عبر العنف أو القانون، بل من خلال فرض التوافق الثقافي عبر مؤسسات المجتمع المدني، وفي مقدمتها الإعلام. (1)

تمثل الصحافة مجالاً مركزياً لاهتمام النقد الثقافي؛ لكونها من أبرز أشكال الإنتاج الرمزي وأكثرها تأثيراً في تشكيل الوعي الجمعي وتوجيه الرأي العام، فهي لا تقتصر على نقل الأخبار أو المعلومات، بل تمارس فعلاً تأويلياً وصياغياً للواقع، يُعيد ترتيب الأحداث ضمن سرديات ومعان قد تخدم أجندات سياسية أو اقتصادية أو ثقافية محددة.



يقدم إدوارد سعيد تحليلاً نقدياً للصحافة الغربية، مبرزاً دورها في إعادة إنتاج ثنائية الغرب/الشرق، فالغرب يُمثل كرمز للعقلانية والتقدم، بينما يُقدّم الشرق كمجال للجمود والتخلف والانفعال. هذه التمثيلات - كما يوضح سعيد - لم تكن بريئة، بل شكّلت جزءاً عضوياً من الخطاب الإمبريالي الذي سوّغ التدخل العسكري والاقتصادي في بلدان الجنوب باسم «التمددين» أو «حقوق الإنسان». (2) ويتوافق هذا الطرح مع ما يسميه والتر مينولو بـ«الهرمية المعرفية»، حيث تُحتكر شرعية المعرفة والتأويل داخل مراكز السيطرة، ويُختزل «الأخر» - خصوصاً غير الغربي - إلى موضوع خاضع للمعرفة لا مصدراً لها. (3) لقد أدركت القوى الاستعمارية المبكرة أهمية الوظيفة الرمزية للصحافة، فحوّلتها إلى أداة دعائية لتبرير الاحتلال تحت غطاء «الرسالة الحضارية». ركّزت التغطيات الاستعمارية على ما اعتُبر «إنجازات» في مجالات الصحة والتعليم والبنية التحتية، بينما تم التعتيم على القمع والنهب والتمييز العنصري. ولم يقتصر هذا الخطاب على الداخل الأوروبي، بل صُدّر إلى الشعوب المستعمرة عبر صحف ناطقة بلغاتها المحلية، هدفها تفكيك الوعي الثقافي والهوياتي، وتقويض الثقة بالذات، وتصوير المقاومة بوصفها تمرّداً فوضوياً أو طرفاً.

في هذا السياق، يقدم إدوارد سعيد تحليلاً نقدياً للصحافة الغربية، مبرزاً دورها في إعادة إنتاج ثنائية الغرب/الشرق، فالغرب يُمثل كرمز للعقلانية والتقدم، بينما يُقدّم الشرق كمجال للجمود والتخلف والانفعال. هذه التمثيلات - كما يوضح سعيد - لم تكن بريئة، بل شكّلت جزءاً عضوياً من الخطاب الإمبريالي الذي سوّغ التدخل العسكري والاقتصادي في بلدان الجنوب باسم «التمددين» أو «حقوق الإنسان». (2) ويتوافق هذا الطرح مع ما يسميه والتر مينولو بـ«الهرمية المعرفية»، حيث تُحتكر شرعية المعرفة والتأويل داخل مراكز السيطرة، ويُختزل «الأخر» - خصوصاً غير الغربي - إلى موضوع خاضع للمعرفة لا مصدراً لها. (3) لقد أدركت القوى الاستعمارية المبكرة أهمية الوظيفة الرمزية للصحافة، فحوّلتها إلى أداة دعائية لتبرير الاحتلال تحت غطاء «الرسالة الحضارية». ركّزت التغطيات الاستعمارية على ما اعتُبر «إنجازات» في مجالات الصحة والتعليم والبنية التحتية، بينما تم التعتيم على القمع والنهب والتمييز العنصري. ولم يقتصر هذا الخطاب على الداخل الأوروبي، بل صُدّر إلى الشعوب المستعمرة عبر صحف ناطقة بلغاتها المحلية، هدفها تفكيك الوعي الثقافي والهوياتي، وتقويض الثقة بالذات، وتصوير المقاومة بوصفها تمرّداً فوضوياً أو طرفاً.

وتبرز خطورة الصحافة الموجهة ليس فقط في تشويهاها للتمثيلات الثقافية، بل أيضاً في قدرتها التحريضية. كما في حالة الإبادة الجماعية في رواندا عام 1994، حين أدت إذاعة «راديو ميل كولين» (RTLM) دوراً محورياً في تأجيج خطاب الكراهية ضد التوتوسي. ومثال آخر هو التغطيات الغربية للحروب في العراق وأفغانستان

هذا النمط الخطابى عن الوظيفة المزدوجة للإعلام الاستيطاني: التبرير الداخلي للعنف، والتأثير الخارجي في تشكيل سردية دولية تفرغ النكبة الفلسطينية من مضامينها التاريخية والسياسية.

وفلسطين، حيث غالباً ما يُصوّر القتل المدنيون كـ «أضرار جانبية»، في حين يُقدّم الاحتلال بوصفه «تحريراً» أو «استعادة للاستقرار»، وهي إستراتيجيات لغوية تطبّع العنف الاستعماري وتُفرغه من دلالاته الأخلاقية. وفي هذا الإطار، تمثل التغطيات الإعلامية الإسرائيلية لحرب الإبادة الجماعية على غزة نموذجاً حياً لانحياز الصحافة إلى منطق الهيمنة الاستعمارية. فقد تبنت معظم وسائل الإعلام الإسرائيلية خطاباً أمنياً تبريرياً، صوّرت من خلاله القصف الجماعي والتدمير المنهج بوصفها أفعالاً دفاعية مشروعة، متجاهلة المأساة الإنسانية المتفاقمة. كما عمدت إلى تجريد الفلسطينيين من إنسانيتهم عبر خطاب اختزالي يصورهم كتجمعات إرهابية متجانسة، بما يكرّس منطق «الإلغاء الرمزي» الذي يسبق ويبرز الإلغاء المادي، على حد تعبير محمود درويش (4). ولم يتوقف هذا الخطاب عند الداخل الإسرائيلي، بل دُوّل عبر وكالات وصحف غربية تبنت السردية ذاتها، ما أسهم في شرعنة الاحتلال وتعطيل المساءلة الدولية. ويكشف

في المنظور المهيمن، تُقدّم الصحافة بوصفها سلطة رابعة محايدة، تسعى إلى إطلاع الجمهور على الحقائق وتمكينه من اتخاذ قرارات واعية. غير أن النقد الثقافي يكشف محدودية هذا التصور، مبرزاً كيف يمكن للصحافة أن تتحول إلى أداة لإعادة إنتاج الهيمنة، عبر ترسيخ الصور النمطية، وتهميش الأصوات المعارضة، وتطبيع سياسات المركز على حساب الهامش.

إزاء هذا الواقع، يظطلع النقد الثقافي والديكولوجي بدور بالغ الأهمية في تفكيك هذه البنى الإعلامية وتحليل أنماط التمثيل فيها. إذ يكشفان عن العلاقة المعقدة بين اللغة والسلطة، ويعيدان مساءلة الخطابات التي تُشرعن العنف باسم «التحضر» أو «الديمقراطية». ومن هذا المنظور، تصيح الصحافة - فضلاً عن كونها ناقلاً للوقائع - فاعلاً إيديولوجياً يُشكّل المعنى ضمن منظومة السيطرة والهيمنة. وفي ضوء هذا الطرح، يمكن عدّ الصحافة أحد المواقع التي تتجلى فيها هذه البنية الاستعمارية للمعرفة. فهي لا تنقل الحقيقة بقدر ما تساهم في هندستها وفق منظور متمركز في الشمال العالمي، حيث تُعاد صياغة القضايا والصراعات بلغة تعكس مصالح المركز وتُقصي أصوات الهامش. من هنا تبرز الحاجة إلى صحافة ديكولوجية، أي ممارسة إعلامية تسعى إلى تفكيك منطق الهيمنة المعرفية والرمزية، وإعادة إنتاج العالم من منظور مغاير، محلي، من الجنوب، يعترف بتعددية المواقع المعرفية وحق الجميع في التمثيل. (5)

## الصحافة فضاءً للنقد الثقافي وتفكيك الهيمنة

لم تعد الصحافة المعاصرة مجرد وسيلة لنقل الأخبار وتقديم الوقائع كما هي، بل تحوّلت إلى فاعل معرفي ونقدي يشارك في إنتاج المعنى وصياغة الوعي الجمعي. فهي اليوم تمارس دوراً يلامس حقول النقد الثقافي والدراسات ما بعد الكولونيالية والديكولوجية، متجاوزة بذلك حدود المهنة التقليدية نحو فضاء معرفي مقاوم. ولم يعد الصحفي الناقد مجرد راصد محايد، بل مثقف عضوي،

تقويض الخطابات المهيمنة وتفكيك الأنساق الرمزية التي تُعيد إنتاج الهيمنة، فهي - كالنقد الثقافي - تكشف عن الثنائيات المضللة مثل «المتحضر/المتخلف» و«المركز/الهامش» و«الفاعل/المفعول به»، وتُظهر كيف أن ما يُقدّم باعتباره حقيقة موضوعية ليس سوى خطاب أيديولوجي يخدم مصالح القوى المسيطرة ويُقصي الآخر. وفي هذا السياق، تُسهّم الصحافة في بناء وعي جماعي مقاوم، يدرك تواطؤ الإعلام المهيمن مع السلطات السياسية والاقتصادية، ويسعى إلى خلق بدائل تمثيلية تعبر عن الفئات المقصية والمهمّشة. (7)

فهي ليست مرآة محايدة تعكس الواقع، بل عدسة نقدية تعيد ترتيبه وتأتيه، وتمنحه دلالات جديدة. فكل ما يُقال وما يُسكت عنه، ومن يُسمح له بالكلام ومن

يسائل الواقع ويفكك الخطابات ويعيد ترتيب أولويات التمثيل. من هذا المنطلق، تشتبك الصحافة النقدية مع ما يسميه والتر منيولو «إعادة الكتابة من الجنوب»، أي استعادة السلطة المعرفية عبر سرديات تنطلق من تجارب الشعوب المهمّشة، لا من تصورات المركز. وهذا ما يجعل من الصحافة الديكولوجية مشروعاً تحررياً يسعى إلى تفكيك المركزية الغربية، وكسر احتكارها للمعنى، من خلال إعادة تشكيل العالم بأدوات محلية ورؤى بديلة. إنها لا تنقل الواقع كما هو، بل تعيد بناءه، وتربطه بجذوره الاستعمارية، وتكشف كيف تستمر أنماط السيطرة في أشكال ناعمة عبر الإعلام والسياسة والاقتصاد. (6)

إنّ النظر إلى الصحافة من هذا الأفق يعني الاعتراف بها جزءاً من مشروع نقدي ثقافي شامل يسعى إلى



أدركت القوى الاستعمارية المبكرة أهمية الوظيفة الرمزية للصحافة، فحوّلتها إلى أداة دعائية لتبرير الاحتلال تحت غطاء «الرسالة الحضارية» (غيتي).

يقصى، هي كلها قرارات سياسية تتخذ داخل حقل رمزي يتقاطع فيه الإعلام مع السلطة والمعرفة.

بهذا المعنى تتحول الصحافة النقدية إلى ممارسة ثقافية مقاومة، تشتبك مع قضايا الهوية والتاريخ والذاكرة والعلاقة بالآخر. (8) إنها تفضح التحيزات البنيوية في التغطيات الإعلامية، وتعيد ربط القضايا الراهنة بسياقاتها التاريخية، وتطرح أسئلة جوهرية حول من يمثل من؟ ولماذا؟ وكيف؟ فبواسطة التحقيقات المعمقة، والتحليلات الواعية بأبعادها السياسية تفتح الصحافة المجال أمام أصوات جديدة، وتعيد كتابة التاريخ من منظور ضحاياه لا من وجهة نظر جلاديه. وإذا كانت الحداثة الإعلامية قد شهدت تواطؤًا طويلًا مع السلطة، فإن تطور الإعلام الرقمي وتعدد المنصات قد أتاح فضاءات بديلة للنقد والمقاومة. فقد ظهرت مشاريع صحفية تضرع

على عاتقها تفكيك المركزية الغربية، واستعادة السرديات المحلية، وتقديم تغطيات أكثر عدلاً وتعدداً. (9) وفي هذا الصدد، تصبح الصحافة النقدية حليفاً فعلياً للنقد الثقافي، وأداة لإعادة توزيع القوة الرمزية داخل الفضاء العمومي.

إن هذا الدور المعرفي والسياسي يضع الصحفي الناقد في قلب المعركة التأويلية حول الحقيقة والتمثيل. فهو، كالمثقف النقدي؛ لا يكتفي بوصف ما يجري، بل يحاول فهم ما يخفيه الخطاب، وتحليل علاقات القوة التي تحكمه، وفضح المصالح التي يخدمها. إنه يربط الحاضر بتاريخه الاستعماري، ويعيد تشكيل العلاقة بين الكلمة والسلطة، ويطمح إلى بناء عالم أكثر إنسانية وعدلاً. يتجسد دور الصحفي النقدي بوصفه مثقفاً عضويًا في تجربة الصحفي المغربي محمد البقالي الذي لم يكتف بالتغطية عن بعد،

بل شارك فعلياً في رحلة سفينة حنظلة لكسر الحصار عن غزة، مرافقاً مجموعة من الناشطين في فعل تضامني ومقاوم. من خلال تغطيته اليومية للرحلة، وتحليله لتفاصيلها ومخاطرها، قدم البقالي نموذجاً للصحفي الديكولوجونيالي المنخرط في قضايا التحرر، حيث تتحول الكلمة إلى أداة مقاومة، وتصبح الصحافة ممارسة نقدية تنحاز للضحايا وتعيد رسم خريطة التمثيل من الهامش لا من المركز. وهكذا، فإن الصحافة - في أفضل حالاتها المهنية - ليست مجرد أداة إعلامية، بل ممارسة نقدية وثقافية تسهم في تفكيك الخطابات المهيمنة، وتوسيع أفق التمثيل، وخلق فضاءات متعددة الأصوات، حيث يُعاد بناء الخيال الجمعي بما يعبر عن تجارب الشعوب وأحلامها وتطلعاتها نحو التحرر. (10)

من بين النماذج الإعلامية التي تجسد هذا التوجه النقدي

الصحافة - في أفضل حالاتها المهنية - ليست مجرد أداة إعلامية، بل ممارسة نقدية وثقافية تسهم في تفكيك الخطابات المهيمنة، وتوسيع أفق التمثيل حيث يُعاد بناء الخيال الجمعي بما يعبر عن تجارب الشعوب وأحلامها وتطلعاتها نحو التحرر (تصوير: فاليريا فيرارو - غيتي).



والديكولوجيا في الممارسة الصحفية، يمكن الإشارة إلى عدد من المنصات التي جعلت من مساءلة الخطابات السائدة وكشف التحيزات الإعلامية جزءًا من رسالتها التحريرية. فشبكة Democracy Now الأمريكية تُعد نموذجًا للصحافة المهنية التي تُعطي الأولوية للأصوات المهمّشة والحركات الاجتماعية المقاومة، في مقابل هيمنة الإعلام التجاري. أما شبكة TRT World التركية، فقد سعت إلى تقديم تغطية متعددة الزوايا تسائل الرواية الغربية في قضايا السياسة الدولية، وتبرز وجهات نظر تنطلق من الجنوب العالمي. وبالمثل، تميّزت منصة Zeteo بطابعها التحليلي والنقدي، إذ تتعامل مع الإعلام بوصفه أداة لفهم بنى الهيمنة الثقافية. وتُعد The Intercept مثالاً بارزاً على الصحافة الاستقصائية الجذرية التي تفضح علاقات التواطؤ بين السلطة السياسية والمجمّعات الأمنية والعسكرية، حيث تولي اهتمامًا خاصًا بالقضايا المرتبطة بالتجسس، والحروب، وانتهاكات حقوق الإنسان، وتعيد صياغة أسئلة الحرية والمساءلة بعيدًا عن الخطاب المؤسساتي الرسمي. وفي السياق العربي، تُعد الجزيرة من المنابر الإعلامية التي حاولت كسر احتكار التمثيل الغربي للقضايا العربية، وفتح المجال أمام خطاب بديل يُنصف ضحايا الصراعات، ويُعيد سرد الأحداث من منظور مغاير للسائد. تمثل هذه المنصات الإعلامية تجليات ملموسة للصحافة النقدية، وتبرز إمكانية تحويل الإعلام إلى مساحة لتحرير الكلمة وتوسيع أفق التمثيل. من بين كل هذه النماذج الإعلامية النقدية، تبرز شبكة الجزيرة كحالة تستحق تفصيلًا خاصًا، ليس فقط لما تمثله من كسر لاحتكار التمثيل الغربي

والديكولوجيا في الممارسة الصحفية، يمكن الإشارة إلى عدد من المنصات التي جعلت من مساءلة الخطابات السائدة وكشف التحيزات الإعلامية جزءًا من رسالتها التحريرية. فشبكة Democracy Now الأمريكية تُعد نموذجًا للصحافة المهنية التي تُعطي الأولوية للأصوات المهمّشة والحركات الاجتماعية المقاومة، في مقابل هيمنة الإعلام التجاري. أما شبكة TRT World التركية، فقد سعت إلى تقديم تغطية متعددة الزوايا تسائل الرواية الغربية في قضايا السياسة الدولية، وتبرز وجهات نظر تنطلق من الجنوب العالمي. وبالمثل، تميّزت منصة Zeteo بطابعها التحليلي والنقدي، إذ تتعامل مع الإعلام بوصفه أداة لفهم بنى الهيمنة الثقافية. وتُعد The Intercept مثالاً بارزاً على الصحافة الاستقصائية الجذرية التي تفضح علاقات التواطؤ بين السلطة السياسية والمجمّعات الأمنية والعسكرية، حيث تولي اهتمامًا خاصًا بالقضايا المرتبطة بالتجسس، والحروب، وانتهاكات حقوق الإنسان، وتعيد صياغة أسئلة الحرية والمساءلة بعيدًا عن الخطاب المؤسساتي الرسمي. وفي السياق العربي، تُعد الجزيرة من المنابر الإعلامية التي حاولت كسر احتكار التمثيل الغربي للقضايا العربية، وفتح المجال أمام خطاب بديل يُنصف ضحايا الصراعات، ويُعيد سرد الأحداث من منظور مغاير للسائد. تمثل هذه المنصات الإعلامية تجليات ملموسة للصحافة النقدية، وتبرز إمكانية تحويل الإعلام إلى مساحة لتحرير الكلمة وتوسيع أفق التمثيل. من بين كل هذه النماذج الإعلامية النقدية، تبرز شبكة الجزيرة كحالة تستحق تفصيلًا خاصًا، ليس فقط لما تمثله من كسر لاحتكار التمثيل الغربي

## المراجع

- (1) During, Simon. *Cultural Studies: A Critical Introduction*. London and New York: Routledge, 2005.
- (2) Said, Edward W. *Covering Islam: How the Media and the Experts Determine How We See the Rest of the World*. New York: Vintage Books, 1997.
- (3) Mignolo, Walter D., *The Darker Side of Western Modernity: Global Futures, Decolonial Options*. Durham: Duke University Press, 2011.
- (4) درويش، محمود. في حضرة الغياب. بيروت: رياض الريس للنشر، 2006.
- (5) McCue, Duncan. *Decolonizing Journalism: A Guide to Reporting in Indigenous Communities*. Oxford: Oxford University Press, 2022.
- (6) Patrick, Rhianna, et al. "Unlearning Journalism through Decolonising, Indigenous Approaches." *Journalism*, 2024. <https://doi.org/10.1177/14648849241305363>.
- (7) Khalid, Haroon. "How Do We Decolonise Journalism?" *Al Jazeera Journalism Review*. March 14, 2023. <https://institute.aljazeera.net/en/ajr/article/2128>.
- (8) Mohammed, Wunpini Fatimata. "Decolonizing African Media Studies." *Howard Journal of Communications* 32, no. 2 (2021): 123–38.
- (9) Moyo, Last. *The Decolonial Turn in Media Studies in Africa and the Global South*. Cham: Palgrave Macmillan, 2020.
- (10) Chasi, Colin, and Ylva Rodny-Gumede. "Decolonial Journalism: New Notes on Ubuntu and the Public Interest." *Journalism Studies* 23, no. 13 (2022): 1625–37.



# لماذا ضعفت الصحافة الثقافية العربية في الألفية الثالثة؟

فخري صالح

تعكس أزمة الصحافة الثقافية في العالم العربي صورة أعمق لتراجع المشروع الثقافي والقيمي وانهيار التعليم وبناء الإنسان، لكن هذا العنوان الكبير للأزمة لا يمكن أن يبرر ضعف التدريب المهني والكفاءة في إنتاج المحتوى الثقافي داخل غرف الأخبار.

تمر الصحافة الثقافية العربية منذ حوالي عقد أو أكثر قليلاً بأزمة يمكن القول - ببعض المجازفة - إنها أزمة وجود. جانب من جوانب هذه الأزمة مُتأت من أزمة الصحافة العربية نفسها، خصوصاً الصحافة الورقية التي ضعفت إلى الحد الذي لم يُغد الناس يقرؤون الصحف أو يلجؤون إليها لمعرفة ما يحدث في العالم؛ لأن هناك بدائل ووسائل عديدة أكثر سهولة وبُسرًا ليطالع المرء على أحداث العالم في اللحظة التي تقع فيها الأحداث في بث مباشر عزّ مثيله في الماضي.

ومع انهيار الصحافة الورقية وتآكل حضورها ضعفت الصفحات الثقافية أو أنها توارت من الصحف وتحولت إلى أخبار منقولة في معظمها من صفحات الإنترنت، أو من حسابات الكتاب والمثقفين والفنانين على فيسبوك وغيرها من صفحات التواصل الاجتماعي. هكذا تحولت الصحافة الثقافية العربية التي كانت يوماً تحتل صفحات عديدة في الصحف العربية الكبيرة إلى صفحات هزيلة لا تمكّن القراء من معرفة ما يدور في عالم الثقافة المحلية والعربية والعالمية، لتكتفي بما يرسله الكتاب والمثقفون من أخبارهم التي يقومون بتغطيتها بأنفسهم بكل ما يجره ذلك من خدش لمصداقية الأخبار وتعظيم إنجازات كتاب ومثقفين يحتلون مواقع هامشية في الحياة الثقافية العربية.

## الماضي البعيد والقريب!

لا شك أن الصحافة الثقافية العربية بمجلاتها المتخصصة والعامة والملاحق الثقافية الأسبوعية في الصحف والصفحات اليومية فيها قد ازدهرت بصورة لا تخطئها العين

في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي. لكننا نشهد امتداداً لعصر الازدهار في الثمانينيات أيضاً، ثم بدأ التراجع في النصف الثاني من تسعينيات القرن الماضي واستفحلت الأزمة مع بداية الألفية الثالثة وتعمقت في العقد الثاني من هذه الألفية. وتكفي نظرة إلى تاريخ الصحافة الثقافية العربية لكي نتأكد أن الأقسام الثقافية في الصحف كانت تلقى الاهتمام ذاته الذي تلقاه أقسام السياسة والاقتصاد والأخبار المحلية. لكن ما كان يميز المادة الثقافية هي أنها تتوزع في الصحف العربية الرئيسية على الملاحق الأسبوعية والصفحات اليومية، وملاحق الكتب والعروض المطولة للكتب التي تنشر على حلقات، والمقالات التي يكتبها مثقفون وتتوزع على صفحات الجريدة اليومية. بهذا المعنى فإن القارئ كان يتلقى مادة ثقافية دسمة قد تكفيه طوال الأسبوع ما بين الأخبار والتغطيات السريعة والمقالات القصيرة المركزة والتغطيات الموسّعة وعروض الكتب والقضايا الثقافية المحلية والعربية والعالمية. لقد كانت الثقافة في تلك الصحف (التي توقف معظمها أو ضعف حضورها الآن) من القطاعات المهمة أو ربما الأهم. ويمكن أن نذكر في هذا السياق صحفاً عربية أساسية ومجلات أسبوعية عامة سائرة أولت المادة الثقافية فيها اهتماماً أساسياً؛ لندل على حجم الخسارة التي منيت بها الثقافة العربية عندما توقفت تلك الصحف والمجلات عن الصدور أو توقفت ملاحقها أو ضعفت أقسامها الثقافية وتحولت إلى صفحات قليلة شاحبة.

من تلك الصحف التي كان الناس يترقبون قراءتها في العقود القليلة الماضية، ملحق النهار الثقافي

والسفير الثقافي والملاحق الثقافية في صحف الوطن والقبس الكويتية وملحق صحيفة «الاتحاد الاشتراكي» المغربية و«الثورة» و«الجمهورية» العراقيين وملاحق «الجزيرة» و«عكاظ» و«اليوم» السعودية وملاحق «الخليج» و«الاتحاد» و«البيان» الإماراتية و«الدستور» و«الرأي» الأردنيين و«أخبار الأدب المصرية» وملحق «الأهرام» الثقافي وصحيفة «الحياة» (لندن) و«القدس العربي» (لندن). يصدق الأمر نفسه على مجلات أسبوعية كانت تولى الشأن الثقافي اهتماماً كبيراً مثل «الشروق» الإماراتية و«النهار العربي والدولي» اللبنانية و«كل العرب» (باريس) و«اليوم السابع» (باريس) و«الدستور» (لندن) و«الوطن العربي» (باريس) و«الأفق» الفلسطينية (قبرص). وليعذرني القارئ إذا كنت نسيت بعضاً من الصحف أو المجلات المؤثرة التي كانت تفرد مساحات واسعة ضمن صفحاتها للثقافة أو تصدر ملاحق ثقافية عامة أو متخصصة أو صفحات أو كتباً.

مع انهيار الصحافة الورقية وتآكل حضورها ضعفت الصفحات الثقافية أو أنها توارت من الصحف وتحولت إلى أخبار منقولة في معظمها من صفحات الإنترنت، أو من حسابات الكتاب والمثقفين والفنانين على فيسبوك وغيرها من صفحات التواصل الاجتماعي.

## عصر المعلومات والمواقع الإلكترونية

لعل واحداً من الأسباب الأساسية التي أضعفت الصحافة الثقافية يتمثل في التدفق الهائل للمعلومات على خلفية التسارع المذهل في تطور وسائل التواصل والتكنولوجيا الفائقة التي تساعد في إيصال المعلومات بسرعة لم تكن تتخيلها من قبل. هكذا صارت الصحف الورقية تنتمي إلى عصر القطارات التي تعمل بالفحم الحجري بينما انتمت المواقع الجديدة الإخبارية والثقافية إلى عصر ما بعد الذرة إذا جاز استخدام هذه الاستعارة؛ إذ ظلت معظم الصحف العربية ومن ضمنها

ثمّ فإن ازدهار الصحافة الثقافية كان في جانب من جوانبه يتصل بالغنى والتطور اللذين اتسمت بهما الثقافة والفنون في العالم العربي كما يتصل بحركة الترجمة والتواصل مع العالم واستيراد الأفكار وتلاقحها والتعليق عليها ونقاشها. فالصحافة هي انعكاس لما يدور حولها في المكان والزمان من تحولات وجدالات وحوارات وتوترات ورؤى عالم متصارعة. ودون وجود هذا الجدل في الحياة العامة كما في الحياة الثقافية تموت الصحافة وتتحول إلى صورة لما يريده الممولون والجهات المختلفة من أحزاب وحكومات ومنظمات خارجية ممن يدفع للزّمار.

المهم في هذا السياق من استذكار بعض الصحف العربية التي أولت الثقافة اهتماماً كبيراً ورصدت حركة الثقافة العربية وكذلك العالمية بصورة متواترة كما أصدرت ملاحق ثقافية عامة ومتخصصة كذلك، هو الإشارة إلى أن هذا الاهتمام يدل على حراك ثقافي وحركة إنتاج أدبية ومسرحية وسينمائية وفنية تشكيلية استدعت كل هذا الاهتمام والمتابعة؛ فقد رصدت المشهد الثقافي المحلي والعربي والعالمى بحيث وضعت القارئ في صورة الأحداث الثقافية والفنية الجارية في حينه ومكنته من تكوين معرفة بالتحولات الأساسية التي تمر بها قطاعات الثقافة والفنون في العالم. ومن



تراجع الاهتمام بالثقافة وضعف مردودها دفع الصحف والمواقع إلى الاستغناء عن المحررين المتخصصين، فيما ساهم تراجع التعليم في انتشار السطحية وغياب الاهتمام بالأدب والفنون والفكر (تصوير: كريستوفر لي - غيتي).

المشكلة التي تواجهها كثير من الصحف العربية - ومن ضمن ذلك صفحاتها الثقافية - أنها تطابق في مادتها بين ما يظهر في النسخة الورقية والنسخة الإلكترونية. وهو ما يجعلها تترجم نفسها خلف القطار السريع للأحداث التي تظهر مادتها على المواقع الإلكترونية. وهكذا فإن النسخة الورقية من الصحيفة (التي أظن أنها ستختفي قريباً وتوضع نسخ منها في المتاحف) هي مجرد إعلان عن المادة الهائلة التي توفرها الصحيفة على موقعها الإلكتروني من مواد خبرية وتحليلات ومقالات وفيديوهات ورسائل صوتية ورسوم بيانية ومواد تفاعلية تتجدد باستمرار. ولهذا السبب تضيق

ازدهار الصحافة الثقافية كان في جانب من جوانبه يتصل بالغنى والتطور اللذين اتسمت بهما الثقافة والفنون في العالم العربي كما يتصل بحركة الترجمة والتواصل مع العالم واستيراد الأفكار وتلاقحها والتعليق عليها ونقاشها. فالصحافة هي انعكاس لما يدور حولها في المكان والزمان من تحولات وجدالات وحوارات وتوترات ورؤى عالم متصارعة.

تلك التي تهتم بالثقافة جامدة في عملية تقديم مادتها غير مدركة بأن الخبر الذي يظهر في الصحيفة في اليوم التالي يتجاوز الزمن. وهذا ما أدى في العالم العربي إلى تدهور الصحافة الورقية التي تعتمد الوسائط القديمة؛ أي الكلمة والصورة، بينما أصبحت المواقع الإلكترونية ومن ضمنها المواقع المتنوعة الاختصاصات وكذلك المواقع الثقافية تحدث مادتها بصورة مستمرة. وهذا ما نشهده مثلاً في موقع الجزيرة الإلكتروني الذي يقدم مادة متنوعة سياسية وثقافية واقتصادية على مدار الدقيقة لا الساعة؛ بحيث يضع قراءه في ضوء الأحداث المتسارعة كما يقدم تحليلات معمقة لمجريات الأحداث ومن ضمنها تلك الثقافية.



لا أظن أن ضعف الصحافة الثقافية العربية هذه الأيام يتصل بالوسيط أو الفضاء الذي ينشر المادة الثقافية. ثمة مادة ثقافية وفيرة بل فائضة تزدهم بها المواقع الإلكترونية. لكن هذه المادة ضعيفة في العادة ولغتها ركيكة مكتوبة بأقلام هواة أو أشخاص غير متخصصين وربما طارئین على مهنة الصحافة.

هذين الوسيطين المختلفين لتقديم مادتها. وهكذا انتقل العالم العربي كما في كثير من دول العالم إلى حقبة المواقع الإلكترونية العامة والمتخصصة كبديل للصحافة الورقية. ولا شك أن ذلك أضعف المادة الثقافية، ولكنه منحها في الوقت نفسه مساحة أوسع في الفضاء السابح على الشاشات.

## الثقافة بين الصحافة الورقية والمواقع الإلكترونية

مساحة المواد الثقافية في وفرة الأخبار والصور والفيديوهات التي تملأ الفضاء الإلكتروني للصحيفة أو الموقع. ومعنى هذا أنه من الضروري أن يفهم العاملون في الصحافة الثقافية أن النسخة الورقية يجب أن تحمل للقارئ مواد تحليلية وتغطيات لا تتراجع أهميتها بمرور الوقت. أما المواقع الإلكترونية فيمكنها أن تحدّث مادتها باستمرار لكي تغطي طوفان الأخبار الذي يضغط على المرسلين، والمحررين وكتاب الأعمدة والمقالات. والشيء نفسه صحيح بالنسبة للمادة الثقافية التي تظهر على صفحات الموقع الإخباري أو المواقع المتخصصة. ولا شك أن الصحف الكبيرة في العالم قد أدركت مأزق العلاقة بين نسختها الورقية وموقعها الإلكتروني. ويمكن أن نرى الفرق الهائل بين النسخ الورقية من صحف الغارديان البريطانية أو نيويورك تايمز الأمريكية أو إلبايس الإسبانية أو لوموند الفرنسية والمواقع الإلكترونية لهذه الصحف الكبيرة. أما في العالم العربي فقد ضعفت الصحف واختفى بعضها؛ لأنها لم تستطع الموازنة بين

لا أظن أن ضعف الصحافة الثقافية العربية هذه الأيام يتصل بالوسيط أو الفضاء الذي ينشر المادة الثقافية. ثمة مادة ثقافية وفيرة بل فائضة تزدهم بها المواقع الإلكترونية. لكن هذه المادة ضعيفة في العادة ولغتها ركيكة مكتوبة بأقلام هواة أو أشخاص غير متخصصين وربما طارئین على مهنة الصحافة. ولعل ذلك يعود إلى الفوضى والارتجالية في إنشاء المواقع الإلكترونية ومن ضمنها

إذا كانت المواقع الإلكترونية للصحف وكذلك المواقع التي لا تصدر نسخاً ورقية تتيح فضاءها الواسع لتغطيات ومقالات وتحليلات ثقافية موسّعة فلماذا ضعفت الصحافة الثقافية العربية ووصلت إلى هذا المستوى؟ وما هي العلاقة بين الفضاء أو الوسيط والمادة الثقافية التي تنشر من خلال ذلك الوسيط؟ وهل كانت الصحافة الورقية أكثر اهتماماً بالثقافة من المواقع الإلكترونية؟



انتقل العالم العربي كما في كثير من دول العالم إلى حقبة المواقع الإلكترونية العامة والمتخصصة كبديل للصحافة الورقية. ولا شك أن ذلك أضعف المادة الثقافية، ولكنه منحها في الوقت نفسه مساحة أوسع في فضاء الإنترنت (غيتي).

المواقع الثقافية. إن ذلك يعود إلى ضعف التدريب، وقدرة أي شخص على إنشاء موقع إلكتروني، ونشر ما يريد دون تدقيق لما ينشر أو تحرير للمادة التي ينشرها، أو دون تكليف العارفين والمختصين بكتابة مواد محددة عن الظواهر والشخصيات والأحداث الثقافية. وهذا ما لم نكن نراه في السابق في زمن الصحافة الورقية التي كانت تستقطب محررين متخصصين ومن ضمنهم المحررون الثقافيون الذين كانوا يستكتبون المتخصصين ويوظفون صحفيين مدربين لديهم المعرفة والقدرة على تغطية الأحداث الثقافية المحلية والعربية والعالمية. إن عالم المؤثرين ومن ينشرون على المنصات المختلفة (ليس كلهم طبعاً) يقدم مراجعات هزيلة ومضحكة أحياناً للكتب والأفلام والمسرحيات والمهرجانات والحفلات الغنائية. ولا شك أن كل شخص يستطيع أن ينشئ قناة على يوتيوب ويجري حوارات ويقدم قراءات دون أن تكون لديه المعرفة الكافية أو الاختصاص أو القدرة على أن يشرح لمستمعيه ومشاهديه لماذا أعجبه ذلك الكتاب أو ذلك الفيلم أو تلك الأغنية. لقد اختلط الحابل بالنابل وفضل أهل الاختصاص الاعتكاف في صومعتهم بعيداً عن هذه الفوضى التي تعمُّ الشاشات والقنوات والمواقع الإلكترونية.

لكن كل ما قلته سابقاً لا يفسر وحده هزال الصحافة الثقافية العربية هذه الأيام، ولا يدلنا على موطن العطب؛ فتغيُّر الوسائط لا يؤدي بالضرورة إلى ضعف المادة التي تنقلها بل العكس هو ما ينبغي أن يحصل. فهذا التطور التكنولوجي المتسارع، وتوفر مادة معرفية هائلة يمكن العثور عليها سابعة على الشاشات في غضون دقائق وربما ثوان، ووجود برامج ذكاء صناعي يمكن أن ترشدنا إلى موطن هذه المواد المعرفية وتستطيع

إرشادنا إلى كيفية إقامة علاقات بينها وترابطات وتتيح تأويلات ربما لا تخطر على بالنا، ينبغي أن يقوَّى هذا كله الصحافة الثقافية العربية لا أن يضعفها. بهذا المعنى فإن الجواب على أزمة الصحافة الثقافية العربية يقيم في مكان آخر.

**تغيُّر الوسائط لا يؤدي بالضرورة إلى ضعف المادة التي تنقلها بل العكس هو ما ينبغي أن يحصل. فهذا التطور التكنولوجي المتسارع، وتوفر مادة معرفية هائلة ووجود برامج ذكاء صناعي يمكن أن ترشدنا إلى موطن هذه المواد المعرفية وتستطيع إرشادنا إلى كيفية إقامة علاقات بينها وترابطات وتتيح تأويلات ربما لا تخطر على بالنا.**

## أزمة الحياة العربية وغياب المشروع الثقافي

لقد أشرت فيما سبق إلى ضعف التدريب في الصحافة الورقية الحالية وكذلك المواقع الإلكترونية العربية. وحتى لا أظلم بعض تلك الصحف والمواقع فإن هناك علامات مضيئة متناثرة هنا وهناك. ولعل تلك العلامات المضيئة في الصحافة والمواقع تستفيد على نحو مثمر مما تتيحه الوسائط الإلكترونية وعمليات الربط والتشبيك والانتقال من صفحة إلى صفحة بنقرة على الاسم أو السطر المظلل؛ من أجل

التوسُّع في المعرفة باللجوء إلى موسوعات تُعدُّها تلك المواقع أو تراكمها كما هو حال موقع الجزيرة على سبيل المثال لا الحصر، بحيث تصبح المادة الثقافية المكتوبة أغنى من خلال ربطها بمواد ثقافية أخرى منشورة في الموقع سابقاً أو سابعة على الشاشات في مواقع أخرى. إن المشكلة إذن متصلة بالتدريب وإعداد الطاقم التحريري، وبتدقيق المادة، وبالتنسيق بين المحررين والكتاب والمصممين والمخرجين الصحفيين بحيث تخرج المادة الثقافية في أبهى صورها.

لكن هذا أيضاً لا يكفي لتفسير حالة ضعف الصحافة الثقافية في الوقت الراهن. ثمة سبب يتعلق بضعف المردود وقلّة اهتمام الناس بالثقافة ورغبتهم في المعرفة السريعة التي لا تتطلب منهم التريث في القراءة. ولا شك أن الصحف والمواقع الإلكترونية - للأسباب التي ذكرتها - لم تعد توظف مختصين ومحررين أكفاء في الأقسام الثقافية والفنية؛ وذلك لضعف اهتمام الناس بالثقافة. ففي زمن تراجع التعليم في المدرسة والجامعة في العالم وضعف المعرفة وعدم الاهتمام بالثقافة والفنون الرفيعة مثل الأدب والمسرح والسينما والفكر. وهو ما فاقم أزمة الصحافة الثقافية العربية وأضعفها وجعلها تعبر عن أزمة المشروع الحضاري والثقافي العربي الذي يحتاج كلاً آخر يتصل بضعف الإرادة السياسية وتشردم الفضاء الثقافي العربي وزيادة مساحات التقوقع في السياسة كما في الثقافة، وانغماس الكثير من الدول العربية في تقديم قشور الثقافة والفنون، والانشغال بالسطحي والمبتذل منها بدل الاهتمام ببناء مشاريع ثقافية ومعرفية تدفع تلك الدول لتصبح من الدول المتقدمة في العالم. وتلك أيضاً حكاية أخرى.



# الصحافة الثقافية.. تاريخ المجتمع والسلطة والتحولات الكبرى

علاء خالد

تطورت الصحافة الثقافية في العالم العربي في سياق وثيق الارتباط بالتحولات السياسية والاجتماعية، ورغم كل الأزمات التي واجهتها فإن تجارب كثيرة حافظت على أداء دورها في تنوير المجتمع. ما هي خصائص هذه التجارب ومواضيعها، وكيف تمثلت الصحافة الثقافية وظيفتها في التثقيف ونشر الوعي؟

## في تشريح الأزمة

طموح أي ثقافة ومن يمثلها ليس طموحا شخصيا، ولكنه جماعي عبر إشاعة هذا المناخ المتسائل الذي يضع الإنسان والمجتمع أمام أزماته الحقيقية؛ لذا تتأثر فاعلية الثقافة بالأجواء التي تحيط بها والقائمين عليها من حرية التعبير وتداول المعلومات بجانب الموهبة والتخصص المهني. على هذا النحو فإن الصفحات الثقافية تضطلع بدور الضمير الجمعي أو العقل الجمعي الذي يستشعر الأعطال في جسم أي ثقافة ويحدد أزماتها وربما احتياجاتها، ولا يتم هذا غالبا إلا بالتفاعل والجدل الدائم بين هذا الجزء الذاتي الذي يمثل الصحفي الثقافي صاحب الرسالة الصحفية والجزء الموضوعي الذي يمثل العقل الجمعي من الثقافة.

رغم حالات التضيق والظروف الاقتصادية والتقدم التكنولوجي الذي أثر على بقاء الصحافة الورقية وإقبال الناس عليها إلا أن هناك منارات ثقافية سواء كانت مجلات أو صفحات انتفاضات ثقافية ربما تمثل استثناء؛ حافظت على وظيفة الضمير الجمعي ورافقت مسيرة تكوين الوعي لأجيال عدة وصاغت عقل وقلب الكثيرين من أمثالي. هناك جهد عصامي لكل مثقف سواء كان منتجا أو مستقبلا للثقافة في الحصول وإنتاج المعرفة، وهو ما سوف أتبعه في هذا المقال سواء من ناحية علاقتي الشخصية بالصحافة الثقافية أو من ناحية من يقوم بإنتاجها سواء كانوا أفرادا أو مؤسسات، وربما يرجع السبب في الجدل الدائم فيما بينهما أن ثمة ثوابت فكرية وثقافية واضحة كالتنوير والتحرر -على سبيل المثال- أتفق عليها في تأصيل رحلة الصحافة الثقافية مع قرائها.

أصبحت هناك ثوابت جديدة شكلية أو بمعنى أصح «لا ثوابت» تتحكم في الثقافة، ففقدت ميراثها في النقد والمهنية والجدية وأصبحت قريبة من حالة التسلية.

هناك عامل مهم قد يشرح هذه الحالة وهي السيولة الفكرية التي حدثت في التسعينيات بعد سقوط حائط برلين وغياب أحد القطبين كفكر وكراسمال رمزي غدى جزء منه الوعي النقدي فيما قبل وساند قضايا التنوير، وبغيابه فقد التوازن وحدثت الهزة في الصحافة الثقافية وبالطبع في شتى مناحي الحياة الإنسانية.

فتحت السيولة الفكرية لمرحلة ما بعد انهيار القطبية وحرب الخليج وتأثيرها الواسع المجال لدخول الكثير من الأفكار المتعارضة، فلم يعد العالم الخارجي - والعربي بشكل خاص - واضحا كما كان من قبل، وهو ما أظهر الحاجة لصحافة ثقافية من نوع متخصص يلبي قلق اللحظة وتغير الثوابت، والأنواع الأدبية والثقافية واتجاهاتها.

إن حالة السيولة أو اللابقيين كانت تحتاج لوجود صحفي مفكر يجترح الأسئلة ويشارك في صياغة وتفسير مآل هذا السيولة، وهي الكوادر التي لم توفرها الثقافة داخل البلدان العربية مع وجود استثناءات قليلة؛ ربما كانت اللحظة تحتاج لزوايا نظر جديدة لأن هذه السيولة أو اللابقيين أنتجت جموعا مستهلكة للثقافة ليس لها تأسيس نظري أو انحيازات واضحة، فسادت حالة من سوء التفاهم المزمّن بينهما - بين مرسل ومستقبل المادة الثقافية - وبذلك انشطر هذا الضمير الجمعي الذي كان يوحدنا من قبل.

إن أغلب الصفحات الثقافية المتميزة أو المجلات الجادة ظهرت في ظل أنظمة شمولية بعد التحرر؛ فكان المهجر أحد المنافذ لنقاش جاد وحر لقضية الحرية وهي إحدى قضاياها الأساسية، فمنحت صفحاتهم هذه الشحنة الإنسانية الخاصة بجانب أصالة الموهبة. على سبيل المثال يمكن تتبع رحلة الصحفي وال كاتب الفلسطيني بلال الحسن الذي ساهم في إصدار جريدتي: السفير في بيروت، ثم مجلة اليوم السابع في باريس التي كانت بمثابة استثناء ضمن الصحافة الثقافية، وتوضح مدى تأثير وفاعلية البعد الشخصي في تمثيل ضمير جمعي. هذا الضمير الجمعي بدأ يتلقى ضربات قوية مؤشراتنا الأساسية انحسار الطبقة الوسطى التي كانت تشكل جوهره أمام انسداد الأفق أمام أبنائها وانحسار مستواهم التعليمي، لينتج عن ذلك تراجع النخب الثقافية عن القضايا الأساسية في المجتمع. يضاف إلى ذلك - في سياق شرح أزمة الصحافة الثقافية - غياب المشترك الثقافي لما يسمى ثوابت العقل الجمعي كالرغبة في التنوير والتحرر.

ولعل من الأسباب التي تفسر أزمة الصحافة الثقافية غياب التخصص وضعف الوعي النقدي وكذلك الموهبة السطحية للصحفي الثقافي؛ فاختلفت لغة النقد وفارقت التجربة الثقافية بأنواعها الأدبية والفنية وتركزت الساحة للهواة، وسيطرت مكانها في العقود الأخيرة الثقافة الشعبوية الخالية من لغة النقد واستدعت نوعا من السطحية في تناول القضايا.

## تطبيع ثقافي

بعد مرحلة ما بعد القطبين وحرب الخليج تعددت المنابر الثقافية الخليجية كصفحات ومجلات، فالوضع الجديد للسيولة أوجد فراغات لممارسة الحريات في بعض هذه البلدان. أصبحت بلدان الخليج بمثابة المتحكم في لحظة التحول هذه. ربما ورثت هذه الصحافة الثقافية الحس المهني الذي جاء به صحفيو لبنان وباقي الدول العربية الذين انتقلوا للعيش فيها بسبب الأزمات الاقتصادية في بلدانهم لتظهر ملاحق ثقافية مهمة محترفة في الإمارات؛ في جرائد مثل الخليج والبيان والأيام وغيرها.

في الثمانينيات بدأ ظهور دكاكين الصحافة الخليجية الثقافية في مصر عبر شبكة من الصحفيين والكتاب الثقافيين المصريين. بدأت مرحلة تطبيع ثقافي مع دول الخليج التي كانت مجهولة أو تمثل هامشا «رجعيا»، التي فتحت ذراعها لطيف من أهم الكتاب والفنانين العرب كانوا يعملون في غرف تحرير صحفها بالتزامن مع بدايات حركة شبابية شعبية بدأت في الإمارات منذ الثمانينات، صدر عنها بعض المجلات الشعبية بمبادرات خاصة أو عن طريق اتحاد كتاب الإمارات.

## ثقافة جريدة الأهرام

في الثمانينيات ومع اشتباكي الفعلي مع الثقافة، كنت أواظب على قراءة الصفحة الثقافية في جريدة الأهرام الرصينة بحكم العادة وارتباط بيوت الطبقة المتوسطة بها. صفحات ثقافية أسبوعية مخصصة لمقالات كتاب كبار من أجيال الثلاثينيات الأربعينيات

## الدوحة واليوم السابع

في عقد الثمانينيات حيث كان المجتمع المصري في حالة كمون اضطراري، كانت لاتزال هناك ثوابت ثقافية وقضايا فكرية تدور حول التنوير وعلاقة الحاضر بالتراث الإسلامي تناقش في بلدان أخرى وبزاويا نظر جديدة. تعرّفت وقتئذ على مجلتيين في غاية الأهمية: مجلة الدوحة في سنوات رئاسة رجاء النقاش للتحرير فيها، ومجلة اليوم السابع التي أسسها الكاتب والصحفي الفلسطيني بلال الحسن.

أهمية مجلة الدوحة هو انفتاحها على التجارب العربية في الكتابة والفن، ودمجها الأسلوبية بين الأدبي والصحفي، وخاصة السير الذاتية لكتاب وشعراء مثل فدوى طوقان، واستحداث أبواب وموضوعات ثقافية كسير الأدباء المنتحرين (مثل خليل حاوي). ربما تمثل «الدوحة» نقلة نوعية لمجلة العربي الكويتية التي كان يرأس تحريرها أحمد بهاء الدين. كذلك مجلة «اليوم السابع» التي صدرت في باريس بين 1983 و1991 برئاسة تحرير بلال الحسن المقرب من ياسر عرفات؛ حيث كانت تمولها منظمة التحرير الفلسطينية بعد خروجها من لبنان والذهاب إلى تونس.

حملت المجلة روح الصحافة اللبنانية التي تعتمد على المهنية مع المتعة والتنوع مع مساحة واسعة من طرح الأفكار الحديثة والقضايا السجالية؛ كسجلات عابد الجابري وحسن حنفي حول موقعنا من التراث وتجديد الفكر العربي، بالإضافة إلى أبواب متخصصة في السينما والمسرح والنقد والأدب ومراجعات الكتب.

الخمسينيات المزدهرة: توفيق الحكيم يوسف إدريس عبد الرحمن الشرقاوي لويس عوض علي الراعي وغيرهم. ذلك أن جميعهم كانوا يمتلكون تجربة فكرية ثرية ووعيا جماليا مدربا على النقد مع موهبة ذاتية يمكنها الوصول للقارئ العادي والنخبوي في آن واحد، لقد عزز هذا قوة القضايا التي كانت تناقشها الصحافة الثقافية.

إن أغلب الصفحات الثقافية المتميزة أو المجلات الجادة ظهرت في ظل أنظمة شمولية بعد التحرر؛ فكان المهجر أحد المنافذ لنقاش جاد وحر لقضية الحرية وهي إحدى قضاياها الأساسية، فمنحت صفحاتهم هذه الشحنة الإنسانية الخاصة بجانب أصالة الموهبة.

اتسمت هذه الكتابات بالمزج الأسلوبية بين لغة الصحافة والطرح الأكاديمي المتخصص، بين الثقافة والقضايا الفكرية للمجتمع، ومراجعات الكتب، ومناقشة ظواهر ثقافية ومجتمعية؛ مثل السجال الذي دار بين الشيخ الشعراوي وكل من توفيق الحكيم ويوسف إدريس كل على حدة. اختلف بالتقادم هذا النوع من الكتاب أو الأدباء الموسوعيين الذين كانوا يغطون على ضعف أسلوب نموذج الصحفي الثقافي التقليدي -الموظف- الخالي من الروح.

أنتجت حالة السيولة الفكرية جموعاً مستهلكة للثقافة ليس لها تأسيس نظري أو انحيازات واضحة، فسادت حالة من سوء التفاهم المزمّن بينهما - بين مرسل ومستقبل المادة الثقافية - وبذلك انشطر هذا الضمير الجمعي الذي كان يوحدنا من قبل (تصوير: محمد عبد الغني - رويترز).



وعمقها وتنوعها، خاطبت الصحيفة قارئاً عربياً نوعياً يختلف عن القارئ العادي، وزغم تكرار بعض المواضيع أو عدم حدوث تغير جذري في التبويب ضخت دماء جديدة في معالجاتها التحريرية. ومع بداية التقنيات الحديثة في الطباعة والاتصالات كثرت عدد مكاتبها ومراسليها في البلدان العربية مما سهل الحصول على تغطية لهذا العقل أو الضمير الجمعي الثقافي للعالم العربي.

ظل للجريدة تميزها الثقافي بسبب المهنية والتخصص، خصوصاً الفترة التي كانت تصدر فيها من لندن، وربما ضمنت لها المسافة عن العالم العربي وأزماته أيضاً البعد عن التورط السياسي أو التماهي مع إشكالياته الثقافية ومشاكله

## الحياة والناقد

في التسعينيات كانت عناصر الحيوية الثقافية والمهنية والتنوع تنهل من الصحافة العربية المهاجرة، أو التي انتقلت إلى الخليج خاصة بعد حرب الخليج الثانية التي أضفت سيولة على مفهوم الحرية نفسه وعلى مفهوم الهجرة الذي لم يعد مرتبطاً بموقف سياسي بل برؤية اقتصادية. في هذه الفترة ظهرت صحافة ثقافية ورقية وأيضاً رقمية عبر مواقع وصفحات شخصية لكتابها مع بداية الألفية الجديدة.

صدرت صحيفة الحياة في لندن سنة 1988 التي شكلت رؤية جديدة وحقيقية بالنسبة للصحافة الثقافية في العالم العربي؛ من حيث حداثة الموضوعات الثقافية

انبنت التجربة على استكتاب كتاب على درجة عالية من التخصص الثقافي، وأغلبهم كانوا مهاجرين على خلاف مع حكوماتهم؛ مثل جوزيف سماحة ومحمود درويش وكاظم جهاد وصبحي حديدي وعابد الجابري وحسن حنفي وبيير أبي صعب وبرهان غليون...

في عام 1984 برزت تجربة حزبية ثقافية مميزة؛ تمثلت في مجلة «أدب ونقد» التي كان يصدرها حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي اليساري. تميزت المجلة وقتئذ بجرأتها في النقد السينمائي وباختياراتها النوعية للأفلام التي تناولتها بالتحليل، في مقابل مطبوعات الدولة مثل مجلة «فصول» التي كانت غارقة في تشيئ لغة النقد والانشغال بالتنظير البنيوي.

## الكتب ووجهات نظر

هناك تجربتان في الصحافة الثقافية المصرية في غاية الأهمية بالنسبة للكثيرين ظهرت في الألفية الجديدة ما بين 2000-2010: «الكتب.. وجهات نظر» ولعل جزءاً أساسياً من اهتمام المجلة كما يظهر في العنوان هو مراجعات الكتب، وكذلك

أهمية هذه المجلات أنها كانت تحاول المحافظة على مسافاتهما المنضبطة والمستحيلة مع الواقع السياسي المشتبك ومع مصادر تمويلها كالمحلق الثقافي لجريدة الأخبار المميز؛ لذلك انطوت على تناقضات سياسية ظهرت في الطريق، وهي أحد أقدار الثقافة العربية التي حالت دون تطورها.

السياسية فحفظ لها مكانة خاصة. لا أنسى أيضاً ملحق «آفاق» الأسبوعي الذي كان يحرره الروائي اللبناني ربيع جابر لطبعة الحياة اللندنية بداية من 2001، حيث تميز بفرادة خاصة وحرية في تناول الأفكار وابتكار أشكال للتغطيات الصحفية بداية من القصص الصحفية المصورة وصولاً إلى النقد. ثمة أيضاً تجربة مجلة الناقد اللبنانية الصادرة عند دار رياض الريس التي كانت تشكل نقلة سواء من ناحية إنجازها الشعري الذي توج بجائزة يوسف الخال القيمة وأيضاً معاركها وملفاتها الثقافية، بجانب الحس الأدبي الرفيع لباب خواتم لأنسي الحاج الذي ارتبطت به على نحو ما هذه التجربة.

الدوحة  
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية  
www.dohamagazine.qa  
العدد 180 نوفمبر 2022

الدوحة  
AL-DOHA MAGAZINE  
السنة 15 - العدد 180 - ربيع الآخر - 1444 - نوفمبر 2022  
Year 15 - No. 180 - Rabi' al Awwal 1444 - November 2022

**فكر كرة القدم**

**الدوحة** مدينة مبدعة  
برونو لاتور في زمن الارتباك  
«نوبل» آني إرنو.. صعود المذكرات  
الغابة التي تخفي الشجرة!  
هل الميتافيزيقا تباع للأوهام؟

أهمية مجلة الدوحة هو انفتاحها على التجارب العربية في الكتابة والفن، ودمجها الأسلوبية بين الأدبي والصحفي (مجلة الدوحة)

ظل لجريدة الحياة تميزها الثقافي بسبب المهنية والتخصص، خصوصاً الفترة التي كانت تصدر فيها من لندن، وربما ضمنت لها المسافة عن العالم العربي وأزماته أيضاً البعد عن التورط السياسي أو التماهي مع إشكالياته الثقافية ومشاكله السياسية فحفظ لها مكانة خاصة.

ولابد أن نستحضر «السفير الثقافي» وكتابات عباس بيضون وعناية جابر وإسكندر حبش وغيرهم ومحاولتهم لتوفير هذا «الصفاء الوجودي» الثقافي لمقالاتهم.

أطرافها أصبحت جزءاً من اهتمامات المجلة: التمثيل والإخراج والإنتاج، وكان الغرض منها هو إنتاج معرفة في هذه التخصصات يمكن أن تساعد على تحسين جودة المنتج السينمائي وتطويره.

ويمكن أيضاً أن نشير إلى مجلة «الفيلم» وهي غير دورية صدرت 2014 عن جمعية النهضة جيزويت القاهرة تهتم بثقافة السينما وفن الصورة، ومن اهتماماتها أيضاً عرض نماذج لسينما مختلفة تكسر هيمنة الفيلم الأمريكي.

إن استعراض هذه التجارب من الصحافة الثقافية يبرز مدى ارتباطها بالتحولات السياسية والاجتماعية في العالم العربي؛ إذ لا يمكن بأي حال من الأحوال الفصل بينهما، ومع تطور المنصات الرقمية يمكن أن نطرح هذا السؤال: هل ستحرر هذه المنصات مساحات جديدة للصحافة الثقافية أم تلتهم ما تبقى منها؟

مناقشته للقضايا العامة أو الذاكرة الجمعية للمصريين وجدته عند الأستاذة ماجدة الجندي في صفحة «غذاء العقول» بجريدة الأهرام، إنه صدى ذاتي مشحون بالمشاعر الشخصية دون ضغط أو توجيه لعاطفة القارئ؛ لأنه يتضمن دقة بلاغية في رصد الأفكار والتعبير عنها مقترنة بسعة اطلاع على الصحافة العالمية.

## الفن السابع والفيلم

كان في الألفية الجديدة نصيب للسينما والصورة عبر مجلتين إحداهما أصدرها الفنان محمود حميدة؛ وهي «الفن السابع» (1997-2003) التي تخصصت في صناعة السينما، وهدفها السعي للتخصص وتناول جوانب المهنة المتعددة وليس فقط حياة الممثل الاجتماعية؛ فصناعة السينما بكل

صفحة الثلاثاء في صحيفة الأهرام «غذاء العقول» للأستاذة ماجدة الجندي تلميذة مدرسة «صباح الخير» الثقافية، وهي من الصفحات القليلة المتخصصة التي كانت تهتم بعرض وتحليل الكتب.

ربما أهمية «وجهات نظر» تحت رئاسة تحرير الكاتب القدير سلامة أحمد سلامة أنها كانت بالفعل كما ظهر في منشور افتتاحيتها: تعميق للحوار وتقاليده بين المثقفين والأكاديميين وقادة الرأي، وهو الثلاثي الذي يحمي مفهوم الثقافة ويغذيه بالأفكار والاحتياجات ويشير لأخطابه؛ فالاسم يحمل فكرة التعدد وهو المفتقد في الحياة السياسية والثقافية في مصر.

كان هناك التزام صارم بمفهوم المهنية ودرجة جودة المقالات، والمزج بين الرأي الخاص والدراسة المعمقة، وعدم السعي وراء الأفكار السهلة أو المعالجات التي ترضي الثقافة الشعبية، إلى درجة أنها شُبِّهت من ناحية رصانتها بالمجلة الفكرية الأمريكية «نيويورك ريفيو أوف بوكس».

نجحت المجلة منذ عددها الأول في اكتساب شهرة واسعة ومكانة مميزة بين المثقفين والأكاديميين وصناع القرار في العالم العربي وكذلك المهتمين بالمنطقة في المؤسسات الأكاديمية الغربية.

تميزت المجلة بالمقال السردى الطويل الذي يجمع بين الحس الذاتي ورواية الموهبة داخل سياق اجتماعي أو سياسي واسع، وهو الأسلوب الذي تبناه الكاتب محمد حسنين هيكل في افتتاحياته للمجلة.

هذا الحس الذاتي للكاتب في



إن استعراض التجارب من الصحافة الثقافية يبرز مدى ارتباطها بالتحولات السياسية والاجتماعية في العالم العربي؛ إذ لا يمكن بأي حال من الأحوال الفصل بينهما (تصوير: لينسي أداريو - غيتي).

# نجونا.. وبقينا على قيد الحياة!

يمنى السيد

في العادة يعرف الصحفيون بمساراتهم وصفاتهم المهنية، لكن يمنى السيد، الصحفية التي عاشت أهوال الحرب في غزة، تعرف نفسها بـ: « ناجية من الإبادة». وربما يفسد أي اختصار أو تقديم عفوية هذه الشهادة/ البوح الذي يمتزج فيه الصحفي بالإنساني وبالرغبة الغريزية في النجاة..

منذ السابع من أكتوبر 2023، تغير كل شيء.

لم يكن في حساباني أبدًا أن كلمة «صحافة» أو «PRESS» المطبوعة بوضوح على سترتي الواقية وسترات زملائي يمكن أن تتحوّل إلى وهم كبير. كنت أعتقد أن تلك السترة الواقية التي أنهكت ظهري وربقتي ومعها الخوذة الثقيلة ستحميني من أي هجوم مباشر، قد تضمن لي نوعًا من الأمان. غير أنني كنت مخطئة تمامًا.

كنت أحب أن أنظف معدّاتي الصحفية بعد كل موجة تصعيد، وأبقيها لامعة جاهزة للجولة التالية. كنت أحب ارتدائها رغم الألم الذي كانت تسببه لي من ثقلها، كنت أشعر بالفخر والاعتداد وكثيرًا ما بدا لي أن أطفالتي يشاركونني ذلك الشعور.

لكن كل شيء تغيّر في هذه الحرب.

أتذكر ذلك اليوم جيدًا، وكل يوم تبعه. مرّ الوقت ببطء خانق. كل لحظة تحمل ثقلًا لا يُحتمل. لم تكن المعاناة في الإرهاق الشديد أو الصدمة أو القلق أو حتى خطر الموت الذي لاحقني كل يوم، كنت قادرة على تحمّل كل ذلك. ما لم أستطع احتماله هو الخطر الذي كان يحيط بأحبّتي: زوجي وأطفالي. لم أسمح لنفسي يومًا أن أتخيل خسارة أحدهم، فضلًا عن أكون أنا سببًا في ذلك. كنت أدعو كل يوم ألا أشهد تلك اللحظة.

قدمت تغطية متواصلة لوقائع الإبادة في القطاع: منازل تُقصف، أحياء تُباد، آلاف يُهجّرون قسرًا. تحدثت عن أن الجوع الذي يفتك بالكبار والصغار، عن العطش، عن محاولة شحن البطارية ليلا من

والصدّات والألم والحزن. كنت أذكر نفسي كلما أوشكت على الانهيار أنني أؤدي واجبًا أخلاقيًا يتجاوز المهمة الوظيفية.

ليس العمل المهني هو ما دفعني للاستمرار بل ذلك الشعور بالخذلان من العالم. إحساسي العميق بأننا تركنا وحدنا بينما العالم كله يتفرّج. رأيت العالم يتابع مسلسل حرقنا في صمت. سألت نفسي مرارًا: إن توقفت من سيتحدث؟ من سيحمل وجع الناس ويوثق حكاياتهم؟ في المقابل، لم أطلب الكثير للمساهمة في أداء ذلك، كل ما رجوته هو أن أشعر بشيء من الأمان، أن أوقن أن أطفالتي في المنزل غير مستهدفين بسبب ما أقوم به.

أجل ضوء صغير يبدد ظلام الخوف لأطفالي. كتبت عن الأمراض المنتشرة وعن الإصابات التي تمزق القلب خصوصًا لدى الأطفال.

ثم فجأة أدركت أنني لم أعد أعطي قصص الآخرين فقط... بل صرت أعطي معاناة عائلتي، خوفاً بصفتي أمًا، ألمي ككل الأمهات من حولي.

لكن أطفالتي لم يكونوا «محظوظين» كغيرهم؛ ذلك لأنني لم أستطع أن أكون بجانبهم. لطالما سيطرت علي رغبة بالصرخ: أنا عاجزة أمام أطفالتي! لا أستطيع أن أطعمهم ولا أن أحميهم، ولا أن أروي عطشهم! أكثر من ذلك، أنا لم أكن هناك لأحتضنهم والصورايخ تتساقط من حولهم!

لكن لم يكن بوسعي التوقف، لأنني الصحفية! لا ينبغي أن أكون أنا القصة. فقط هذه المرة... كانت القصة عني وعن كل واحد فينا.

كنت أخرج يوميًا إلى الميدان لأعطي الأحداث، وأودّع أولادي وكأنها المرة الأخيرة. وكل دقيقة في اليوم كنت أرجو الله أن أعود وأجدهم أحياء سالمين.

نجوت من الموت مرات عديدة. أدركت أن سترتي الصحفية لم تعد درعًا للحماية بل علامة على أنني هدف مشروع للجيش الإسرائيلي. رأيت زملائي يُقتلون، يصابون، ويهددون. كنا بحاجة لمعجزة يومية لنظل على قيد الحياة. تملكني الخوف ليس فقط على نفسي، فقد كان خوفاً الأكبر أن أكون سببًا في إيذاء عائلتي. لم أكن لأغفر لنفسي أبدًا إن استُهدفوا بسببي. كانت الأيام ثقيلة... مُثقلة بالخوف والإرهاق

نجوت من الموت مرات عديدة. أدركت أن سترتي الصحفية لم تعد درعًا للحماية بل علامة على أنني هدف مشروع للجيش الإسرائيلي. رأيت زملائي يُقتلون، يصابون، ويهددون. كنا بحاجة لمعجزة يومية لنظل على قيد الحياة. تملكني الخوف ليس فقط على نفسي، فقد كان خوفاً الأكبر أن أكون سببًا في إيذاء عائلتي.

غطيت حروبًا عديدة في غزة لكن ما نعيشه اليوم ليس حربًا... إنها إبادة. أنا صحفية، نعم، لكنني فوق ذلك وقبله أمّ وامرأة. لم يكن من السهل أبدًا التوفيق بين

في حضن أمي... غطّنتني بجسدها  
لتحميني...»

لازمتني كلمات جوري ذات الخمس  
سنوات وظلت تتكرر في ذهني:  
«لا أريدك أن تموتي وتتركيني يا  
ماما».

تعرضت لحروق من الدرجة الثالثة  
غطت معظم جسدها.

لكنها لم تطلب سوى أمر واحد:  
أن تعود والدتها للحياة أو أن تموت  
وتلتحق بهم.

قالت لي وهي تبكي: «كنت نائمة

كوني صحفية وكوني أمًا لأطفال  
مذعورين، مهددين، يحتاجون فقط  
حُضنًا مهمًا كي يشعروا بالأمان.  
ورغم ساعات البث الطويلة شعرت  
دومًا أن ما أفعله غير كافٍ. ولم  
يكن العمل يسمح لي بالانفصال  
عن إحساسي بالرعب؛ فقد كنت أرى  
أطفالًا يُشبهون أطفالني يتعذبون  
والعالم يتجاهلهم ويصمت. إنه  
مصير محتم واحد.

أرهقني الوقوف أمام الكاميرا، غير  
أنني شعرت بأن علينا الاستمرار في  
توثيق الإبادة، وأن على العالم أن  
يرى ما يحصل. أردت أن يعرفوا ماذا  
يعني أن يُصاب طفل أو يقتل تحت  
الركام، أن يفقد حياته ببطء دون  
قدرة على إنقاذه. أردت أن يعرفوا أن  
الآلاف فقدوا كل شيء وآلاف الأطفال  
فقدوا عائلاتهم بالكامل وأصبحوا  
الناجين الوحيدين. أصبحوا وحدهم  
وسط كل هذا الرعب الذي لا يبدو  
أن له نهاية.

كان أكثر ما تخشاه طفلي سيرين  
ابنة الثمانية أعوام أن تصبح هي  
«ناجية وحيدة». راحت تسألني كل  
ليلة:

«ماما، ماذا أفعل لو سقط صاروخ  
عليكم جميعًا ومثّم وبقيت أنا أو  
بقيت أنا وأختي الصغيرة جوجو  
وحدنا؟».

أصرت أن ننام ملتصقين من دون  
أي فراغات بيننا حتى إذا سقط  
الصاروخ نموت معًا.  
لم يكن في وسعي أن أشارك العالم  
مخاوف أطفالني، ولا أن أبوح بكسرة  
قلبي أمام الكاميرا، رغم أننا أيضًا  
قصة ضمن القصص العديدة في  
واقع هذه الإبادة.

أتذكر قصة عملت عليها عن طفلة  
تُدعى شام. كانت الناجية الوحيدة  
من قصف دمر منزلهم بالكامل.



ما لم أستطع احتماله هو الخطر الذي كان يحيط بأحبّتي: زوجي  
وأطفالني. لم أسمح لنفسي يومًا أن أتخيل خسارة أحدهم، فضلًا أن  
أكون أنا سببًا في ذلك. كنت أدعو كل يوم ألا أشهد تلك اللحظة (صورة:  
الصحفية يمنى السيد).

كل القصص التي غطيتها لم تنفصل عن هاجسي بأسرتي وأولادي. كل القصص في غزة تتقاطع مع بعضها. كلنا محاصرون تحت الإبادة نواجه مصيراً واحداً.

كان أكثر ما تخشاه طفلي  
سيرين ابنة الثمانية أعوام  
أن تصبح هي «ناجية  
وحيدة». راحت تسألني  
كل ليلة: «ماما، ماذا أفعل  
لو سقط صاروخ عليكم  
جميعاً ومثّم وبقيت أنا أو  
بقيت أنا وأختي الصغيرة  
جوجو وحدنا؟». أصرت أن  
نام ملتصقين من دون أي  
فراغات بيننا حتى إذا سقط  
الصاروخ نموت معاً.

أردت أن أصرخ: «أنا عاجزة أمام أطفالتي! لم أستطع أن أحتضنهم حين سقطت الصواريخ من حولهم». لكنني لم أستطع التراجع. رحلت أذكر نفسي: حين تكونين الصحفية تكون القصة عن الآخرين لا عنك. لكن هذه المرة كانت القصة عن الجميع، عن كل واحد منا.

أغادر كل يوم نحو الميدان يلهج لسانني بالدعاء: فقط أن أعود هذا اليوم لأجد أطفالتي أحياء. في كل مرة شعرت أن الوداع هو الوداع الأخير. ليس ممكناً أن أقول هذه التفاصيل الثقيلة على الهواء، ولم أستطع أن أفصح عن وجعي مهما كان عميقاً. لكن وجع أولادي كان وجع كل أطفال غزة.

تُعيد إليّ شعور أنني ما زلت على قيد الحياة.

ووسط كل هذا الدمار والحزن والحسرة، حلّ ظلام تلك الليلة في أواخر نوفمبر/ تشرين الثاني: قصف جوي استهدف منزلاً في خان يونس. تدفقت الجثث والمصابون إلى مجمع ناصر الطبي. حلت الفوضى، هلع عمّ النساء والأطفال، مشاهد لا تنتهي من الجروح والإصابات والدماء، تلاشى الفرق بين الأحياء والأموات.

لكن، وفي غمرة تلك المعصية الدموية، كان هناك طفل واحد فقط تملك كل انتباهي، كان بعمر ابني محمد الذي يبلغ من العمر أحد عشر عاماً. نزل ذلك الفتى الصغير من سيارة الإسعاف وحده يحمل حقيبة على صدره. عيناه مليئتان بالصدمة ووجهه مغطى بالغبار والجراح. تركت كل شيء وركزت نظري عليه وعلى حقيبته التي كان الدم يتسرب منها. انتبه إليّ كأنه اكتشف ما يدور في ذهني من أفكار ومشاعر. رأيته يقترب مني، وسألني بهدوء صادم: «بتعرفني شو في بها الشنطة؟» لم أستطع الرد. أحسست بقلبي يكاد يتوقف.

وضع يده على السحاب ليفتحها، فأمسكت يده بسرعة، حاولت ثنيه عن ذلك، لم أحتمل رؤية ما ظل ذهني يرفض افتراض رؤيته في الحقيبة المدماة تلك اللحظة..

قال لي بصوت خافت وهدوء مرعب: «هاد أخوي أحمد، عمره خمس سنين».

انهار كل شيء بداخلي لحظتها. وددت لو أفقد وعيي وأغيب عن الوجود، أردت أن تنشق الأرض وتبلغني أنا أيضاً.. ما هذا العالم؟! للحظات، شعرت وكأنني فعلاً قد

نجوت من الموت مرات عديدة. أدركت مبكراً - وبقية الصحفيين في غزة - أن السترة الصحفية لم تعد درعاً للحماية بل علامة على أننا أهداف للجيش الإسرائيلي. رأيت زملائي يُقتلون ويُصابون ويُهددون. كنا بحاجة لمعجزة يومية لنظل على قيد الحياة، وكنت خائفة ليس فقط على نفسي بل على من أحبهم، خائفة أن يكون وجودي بينهم سبباً في استهدافهم.

مرت علينا ثلاثة أشهر من التنقل القسري من منطقة إلى أخرى، ننتقل مذعورين وجائعين تحت النار. نزحنا ست مرات، في كل مرة نعاني نفس الرعب والذهول ولا نعتاد عليه. نقاسي نفس الفقد ونفس الألم ولا نعتاد عليه. حتى الخبز والماء لم يكن لدي «رفاهية» الوقوف في الطوابير للحصول عليهما.

رأيت ووثقت مشاهد يستحيل وصفها. بيوتا سويت بالأرض فوق ساكنيها، أطفالاً ينشلون من تحت الركاب بأيدي عارية. رأيت أمهات يبحثن عن فلذات أكبادهن بلا صوت، بلا دمع، بلا حياة. صارت تلك المشاهد نمطاً «عادياً» في سيرة الإبادة في غزة لكن رعب الموت مرعب العام لم يتغيّر. هذا الموت مرعب ولا نريده. كان مرعباً في الأمس، في الحروب السابقة، وفي بداية الحرب وسيظل مرعباً أبداً.

في كل تغطية لاستهداف منزل فوق رؤوس ساكنيه أتخيل أنني أفأف على نوع من المقابر لا تجده إلا في غزة، مقابر للأحياء والأموات معاً، كلهم دفنوا تحت الركاب! كنت أحتفظ بكل هذا داخلي، ولم أستطع التحدث عنه لأحد.

كنت أسارع لاحتضان أطفالتي كل مساء، وأبحث عن قبلة من زوجي

كل هذه القسوة؟

خرجتُ من المستشفى تلك الليلة إنسانة أخرى. لم أستطع الكلام. لم أستطع الأكل لأيام، كنت أرى وجه الصبي ذاك كلما أغمض عيني لأنام. فقدت وزني بسرعة في غضون أيام، وكدت أنسى طعم النوم منذ تلك الليلة. فقدت القدرة حتى على الابتسام مع أطفالتي.. فقدت نفسي لم أعد أعرفها عجزت عن متابعة العمل، تغيبت يومين كاملين، ظلت فيهما جالسة في تلك الغرفة.. مع شعوري بالذنب الفظيع.

المشرحة.. حمل الأخ الصغير شقيقه ومشى بعيداً... وأنا ما زلت متسمة في مكاني لا أستطيع تحويل عيني عن المشهد. لاحظته يمشي باتجاه المشرحة ثم التفت إليّ مرة أخيرة. لم أراه بعدها ولم أعرف مصيره.

لم أستطع اللحاق به ولا تصويره ولا الحديث معه وسؤاله عن اسمه وعائلته. في تلك اللحظة المشؤومة لم أستجمع قواي لأكون صحفية لحظتها. أي صحافة؟ ما الذي تستطيعه الصحافة وكل المعايير المهنية والتدريبات المكثفة أمام

غبت عن الوعي. لم يعد بوسعي احتمال رؤية أي شيء أو الاستماع إلى أي شيء. وقفت بلا حراك. لا أعلم تماماً كم استمرت تلك الحالة. أكانت بضع ثوان؟ أكانت دقائق كاملة؟ لا أدري.

مر من جانبي طبيب فسحبته من يده بلا وعي مني، قلت له وكأنني أمره: ساعده! وأشرت إلى حقيبة الصبي. فتح الطبيب الحقيبة مستعجلاً ثم صرخ مصعوقاً: «يا الله!». طلب الطبيب من بعض الأشخاص أن يؤخذ الطفل إلى

تساؤلات كثيرة وشعور مقل بالذنب والحزن والغضب من هذا العالم. لم نحمل شيئاً معنا سوى كيسين بلاستيكيين، هما كل ما تبقى من حياتنا السابقة في غزة (تصوير: مجدي فتحي).

لمت نفسي أنني لم أقو على توثيق تلك الجريمة وقصة ذلك الصبي المفجوع.

قلت لنفسي: ربما لو أنني كنت أشجع بقليل وأنجزت تلك القصة ربما توقفت الإبادة، ربما كان سيتغير شيء ماذا لو رأى العالم المدى الذي وصلت إليه الجريمة الإسرائيلية. لم أتوقف عن لوم نفسي لحظة!

**نصحتني الجميع: «خذي أولادك وذهب، أنقذهم ولا تفكري بأحد سواهم، سيكون زوجك بخير.» لكنني رفضت الفكرة تماماً! لم يكن ذلك خياراً.. فقد تعاهدنا منذ اليوم الأول للحرب أن نموت معاً أو ننجو معاً.**

بعد يومين فقط عدت للميدان من جديد. أعطيت الإبادة وكأن شيئاً لم يحدث. لم أقدر على شرح ما بداخلي. شعرت أن شيئاً فيّ قد كسر إلى الأبد. كنت مشلولة من الداخل، ولم أقدر على تفسير ذلك لأحد. انهارت حياتي الزوجية. وقررنا الانفصال بعد الحرب أو إذا تمكنا من المغادرة من هذا المكان أحياء.

قال لي زوجي: «أنا عارف إنك بتمزّي بشيء صعب، بس إحنا كمان!»

أردت أن أصرخ كثيراً من شدة القهر. كنت أرى ذلك الوجه الصغير

تساؤلات كثيرة وشعور مثقل بالذنب والحزن والغضب من هذا العالم. لم نحمل شيئاً معنا سوى كيسين بلاستيكيين، هما كل ما تبقى من حياتنا السابقة في غزة.

في الساعة الثامنة مساء ناداني ضابط وسألني: «هل صلاح زوجك؟»

أجبت بحذر: «نعم»

قال: «انتظري».

ثم بعد ساعة ناداني من جديد، وسلمني جوازاتنا المختومة. لقد نجونا كلنا!

خرجت من غزة تلك الليلة. خرجت مع زوجي وأطفالي الأربعة أحياء بلا إصابات. لكن غزة وما حصل فيها قبل تلك الليلة وبعدها لم يخرج منا.

كنت أرجو أن ننجو كلنا معاً. أن تنجو غزة وتتوقف المذبحة سريعاً. رجوت لو أنني أرجع إلى ذلك الفتى الذي كسرتني قصته. هل تراه نجا؟ أيمن أن أعثر عليه بعد الحرب؟ أن أجلس معه وأستمع إليه؟

نحن بقينا على قيد الحياة، لكن هل ترانا نجونا حقاً؟

**ملاحظة المحرر: ستصدر هذه الشهادة ضمن نسخة محدثة من كتاب «وحدنا غطينا الحرب» الذي يوثق شهادات الصحفيين الفلسطينيين في تغطية حرب الإبادة الجماعية.**

كلما نظرت في وجه أحد، ولكن لم أستطع أن أعثر على الكلمات الملائمة التي تسعفني في التعبير أو وصف ذلك المشهد. ومرت الأيام، بعضها نسرق فيه لحظات من الهدوء وأغلبها مرّ مليئاً بهموم لا تنقضي ولا تنزاح عن القلب. في أواخر ديسمبر، كان والدي في القاهرة يحاول إخراجنا من غزة. كانت الإجراءات أسهل نسبياً لي ولأولادي؛ لأننا نحمل جوازات سفر مصرية، وهو ما لم يتوفر لزوجي؛ كانت فرصة خروجه وسفره ضئيلة.

نصحتني الجميع: «خذي أولادك وذهب، أنقذهم ولا تفكري بأحد سواهم، سيكون زوجك بخير.» لكنني رفضت الفكرة تماماً! لم يكن ذلك خياراً.. فقد تعاهدنا منذ اليوم الأول للحرب أن نموت معاً أو ننجو معاً.

بعد بضعة أيام، وصلتني رسالة من أبي: «عقدنا اتفاقاً! أسماؤكم على القائمة.» بحثت... ووجدت أسماءنا. لكن اسم زوجي لم يكن موجوداً. اتصلت بأبي: «لن نساfer. لن أترك زوجي في هذا الجحيم وحده!» قال والدي: «لا تقلقي، سيسمحون له بالمرور رغم أنه ليس على القائمة.» تلك الليلة كانت من أسوأ الليالي. ظل زوجي صلاح يقنعني أن أخرج الأولاد. «فكري فيهم... مش في.»

جوجو ابنتي الصغيرة نامت وهي تبكي وتدعي: «يا رب، خلّي بابا يبجي معنا، ما بدي أتركه هون.» وفي صباح اليوم التالي، توّجهنا إلى المعبر بخطوات ثقيلة وقلوب مفطورة. لم يكن فينا أحد سعيداً بتلك النجاة. كنا نسأل أنفسنا: هل ترانا نخون غزة؟ هل سنعود؟ هل نترك من نحب خلفنا؟



# آليات التكامل بين الدعاية العسكرية والعمليات الميدانية ضد الصحفيين الفلسطينيين في غزة

إبراهيم زياد الحاج

مراكز استخبارات ومنظمات ضغط وإعلام إسرائيلية عملت منذ بداية حرب الإبادة الجماعية على غزة بالتوازي مع آلة الحرب في استهداف الصحفيين مهنيًا ومعنويًا. الإعلام الإسرائيلي، بنسخته العبرية والإنجليزية، عزز روايات المؤسسات العسكرية والأمنية ورؤجها عالميًا، عبر حملات تشويه ممنهجة أغرقت الصحفيين باتهامات فضفاضة بلا أدلة. كيف أصبح استهداف الصحفيين إستراتيجية ممنهجة؟ وما آليات التنسيق بين الدعاية العسكرية وقتل الصحفيين الفلسطينيين؟

منذ السابع من أكتوبر 2023، تعيش غزة حرب إبادة جماعية غير مسبوقه تجاوز تدمير البيوت والبنية التحتية ليستهدف الشهود على الجريمة: الصحفيين. لقد واجه الصحفيون الفلسطينيون قتلاً ميدانياً اقترن بحملات تشويه وتحريض مُنسقة جرّدهم من أي حصانة مهنية أو إنسانية. وقادت هذه الحملات مؤسسات أمنية وإعلامية إسرائيلية تتقن صناعة السرديات الموجهة التي خلقت حرباً ناعمة على مواقع التواصل تمهيداً للحرب الخشنة.

ومع مرور الشهور، بدأت أنماط الاستهداف تكشف عن نفسها؛ أسماء بعينها تُوضع تحت مجهر التشويه، ومزاعم تُضخ في الفضاء الإعلامي حتى تتحول إلى خطاب سائد يسبق الصاروخ. وبذلك تحوّل التحريض في مرحلة أولى من عملية اغتيال علنية تبدأ بعمل استخباري وحملة دعائية، وتنتهي بضربة عسكرية تُنفذ بدقة ضد الهدف الصحفي. يبرز اغتيال الصحفي أنس الشريف والفريق المرافق له وكذلك اغتيال الصحفي حسن إصليح من بين عشرات الأمثلة لتجسّد هذا النمط من استهداف الصحفيين.

## من التحريض إلى الاغتيال

تشير القراءات الميدانية والمراجعات التحليلية للنشاط الإعلامي والأمني الإسرائيلي تجاه الصحفيين الفلسطينيين إلى أنّ استهدافهم في قطاع غزة لا يتم عرضياً أو بقرار ميداني منفصل، بل يندرج ضمن ممارسات منظمة تجمع بين الأبعاد الإعلامية والأمنية والعسكرية في بيئة صراع معقدة، وهو نمط أقرب إلى عملية مركبة تتداخل فيها

الاعتبارات الدعائية مع الحسابات العملية؛ إذ يهيا الرأي العام لقبول استهداف الصحفيين.

وتتسم حملات التحريض ضد بعض الصحفيين بطابع ممنهج يُعاد فيه إنتاج صور ومقاطع من أرشيفهم المهني، وتقدّم بعدة لغات في سياق اتهاميّ يربطهم بأنشطة سياسية أو عسكرية مصنّفة في الخطاب الإسرائيلي ضمن دائرة «التهديد». وتضطلع بهذه الأدوار جهات مرتبطة بالمؤسسة الأمنية الإسرائيلية من بينها منظمات ضغط إعلامي مثل Honest Reporting وCAMERA، إضافة لمراكز بحثية استخباراتية مثل مركز أرشيف الاستخبارات الإسرائيلي المعروف بمركز «مئير عميت».

من خلال هذا النمط، يُعاد تشكيل صورة الصحفي الفلسطيني في الوعي العام بتجريده من صفته المدنية والمهنية الصحفية؛ لإضعاف الحماية التي يكفلها له القانون الدولي الإنساني، وتحديداً المادة 79 من البروتوكول الإضافي الأول لاتفاقيات جنيف لعام 1977. هذه الحملات تسير بالتوازي مع الاستهداف الميداني أو تسبقه بقليل، وهو ما يثير تساؤلات حول العلاقة السببية بين التمهد الإعلامي واتخاذ القرار العسكري. فحين يستهدف صحفي بغزة يكون الرأي العام غالباً قد تلقى مسبقاً سرديّة اتهامية ضده؛ لجعل اغتياله خبراً غير صادم ولا يستدعي التدقيق والمساءلة.

هذا التداخل بين الإعلام التحريضي والقرار العسكري هو انعكاس لبنية عملياتية متكاملة توظف الإعلام أداة مساندة في العمليات الحربية، وتمنح عمليات الاستهداف غطاءً دعائياً وقانونياً. وبهذا المعنى، يتحوّل

الصحفي من حامل لصفة الحماية المدنية إلى هدف مشروع في نظر المنظومة الإسرائيلية ضمن بيئة صراع حيث الكلمة والصورة يكشفان وجه الجريمة الإسرائيلية وبشاعتها.

## «خلية إضفاء الشرعية»

تشير إفادة الصحفي الاستقصائي الإسرائيلي يوفال أفراهام على منصة إكس(1) التي أدلى بها عقب اغتيال أنس الشريف مراسل قناة الجزيرة في غزة إلى معطيات شديدة الأهمية تكشف جانباً خفياً في البنية المؤسسية للتحريض الإسرائيلي على الصحفيين الفلسطينيين؛ فبحسب أفراهام أقدمت شعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية «أمان» في أعقاب 7 أكتوبر على إنشاء فريق خاص باسم «خلية إضفاء الشرعية». هذه التسمية تعكس بوضوح الوظيفة الموكلة لهذه الوحدة: إنتاج وتوفير مواد دعائية ومعلوماتية وتوظيفها لإضفاء غطاء «قانوني» أو «أخلاقي» على أفعال الجيش الإسرائيلي في غزة بما في ذلك استهداف الصحفيين.

تشكّلت الخلية من عناصر استخبارات ذوي خبرة في تحليل المعلومات الميدانية، ورصد النشاط الرقمي، واستثمار المعطيات المفتوحة المصدر لخدمة الهدف السياسي والعسكري. ومن مهامها المركزية - وفق أفراهام - البحث النشط والمكثف عن أي صحفي فلسطيني يمكن تقديمه أمام الإعلام الإسرائيلي والدولي على أنه عضو في حركة حماس واتهامه بأنه يعمل بغطاء العمل الصحفي. شمل هذا البحث فحصاً دقيقاً للأرشيف المصور والتغطيات السابقة؛ لاستخدامها أدلة اتهام حتى وإن كانت في أصلها مرتبطة بأنشطة مهنية بحتة.

داخل الجيش الإسرائيلي. وهي تمرر مخرجاتها إلى الناطق باسم الجيش الإسرائيلي وتنسق مع وسائل الإعلام الإسرائيلية التي تُعيد صياغتها وتُروّجها محلياً ودولياً. بهذه الطريقة يكون الاغتيال حلقة في سلسلة دعائية تبدأ قبل التنفيذ بتهيئة الجمهور، وترافق العملية بإطار تبريري، وتستمر بعدها لتبرئة الفعل وتقديمه فعلاً مشروعاً أو دفاعياً.

لدى الجميع عالمياً بمن فيهم المتضامنين مع الشعب الفلسطيني في حول الصحفي الفلسطيني في غزة، وهو ما يقلل من الحماية السياسية والقانونية الممنوحة له، ويجعل من السهل تسويق خبر مقتله ضمن رواية جاهزة، بدل التعامل معه بصفته جريمة تستوجب التحقيق والمساءلة. هذا النهج - في نظره - كان حاضراً بوضوح في اغتيال أنس الشريف؛

وبحسب أفراهام، استمر هذا البحث لأيام وبُذلت فيه جهود كبيرة، لكن النتيجة كانت صفرية؛ لم تتمكن الخلية من العثور على حالة موثقة واحدة تدعم السردية المطلوبة. ومع ذلك، فإن مجرد تشكيل الخلية وطبيعة مهامها يوضحان منطق هذه المقاربة؛ إذ يكفي العثور على حالة واحدة فقط ل صحفي يمكن ربطه تنظيمياً بالمقاومة لكي يُعمّم هذا المثال على عموم صحفيي

[Israel at War – Donate Now](#)

**HonestReporting**

Home

About Us

News Critiques

Exposés

Take Action

In the Media

Videos

Educational Articles

Send Us Your Tips

HAMAS' TUNNELS OF TERROR

Featured

## Famine Standard Was Lowered for Gaza, Media Turned a Blind Eye

Key Takeaways: Media headlines parroted a July 2025 report that famine was unfolding in the Gaza Strip. Reports buried the fact that famine has not been officially declared and that not all famine thresholds have...

READ MORE

تعمل مؤسسة Honest Reporting في لوبي إعلامي مؤيد لإسرائيل، هدفه مواجهة أي رواية يعتقدون أنها «معادية لإسرائيل» أو «منحازة للفلسطينيين»، ونشطت خلال الحرب بالتحريض على الصحفيين الفلسطينيين والضغط على وسائل الإعلام التي تنتقد أو تغطي الجرائم الإسرائيلية (صورة من الموقع).

## خيمة الصحافة: من حسن اصليح إلى أنس الشريف

في 7 أبريل / نيسان 2025، تعرّض الصحفي الفلسطيني حسن اصليح أحد أبرز المراسلين الميدانيين في قطاع غزة لإصابة بالغة إثر قصف إسرائيلي استهدف خيمة للصحفيين قرب مستشفى ناصر في مدينة خان يونس. أسفر

إذ اعترف الجيش الإسرائيلي صراحة بأنه استهدفه بعينه. وأثار أفراهام تساؤلاً حول التوقيت؛ عشية التوجه لاحتلال مدينة غزة، والإجابة - كما يرى - هي أن قتله الآن يأتي لإضعاف التغطية الإعلامية المستقلة في لحظة عسكرية حرجة.

إن «خليفة الشرعية» تمثل الذراع المؤسسي الذي يربط بين النشاط الاستخباراتي والوحدات الإعلامية

غزة. وهو منطق قائم على القياس التعميمي الذي تستند إليه الدعاية الإسرائيلية في ملفات أخرى مثل أن يُستخدم مستشفى واحد يُزعم أنه يحتوي على مقر للمقاومة لتبرير استهداف البنية الصحية بأكملها.

يؤكد أفراهام أن الغاية النهائية من هذا العمل ليست إثبات حالات فردية بقدر ما هي زرع الشك المسبق في الوعي العام

الهجوم عن مقتل 3 صحفيين وإصابة اصليح بجروح خطيرة، نُقل على إثرها إلى قسم الحروق في المستشفى ذاته. كان من المفترض أن يشكل سرير العلاج ملاذًا آمنًا وفق قواعد القانون الدولي الإنساني، لكن الجيش الإسرائيلي نفذ غارة جوية ثانية، في 13 مايو/ أيار 2025، استهدفت قسم الحروق مباشرة، أدت إلى استشهاد اصليح على الفور.

مع مرور الشهور، بدأت أنماط الاستهداف تكشف عن نفسها؛ أسماء بعينها تُوضع تحت مجهر التشويه، ومزاعم تُضخ في الفضاء الإعلامي حتى تتحول إلى خطاب سائد يسبق الصاروخ. وبذلك تحوّل التحريض في مرحلة أولى من عملية اغتيال علنية تبدأ بعمل استخباري وحملة دعائية، وتنتهي بضربة عسكرية تُنفذ بدقة ضد الهدف الصحفي.

هذه العملية المزدوجة لا يمكن فصلها عن الحملة التحريضية التي استهدفت اصليح قبلها بأشهر، ومنها حملة واسعة (2) أطلقتها منظمة Honest Reporting في نوفمبر/ تشرين الثاني 2023. وتقارير أخرى نشرها مركز مئير عميت (3). ثم تحريض لاحق نشرته منظمة CAMERA (4) بعد استشهاده مباشرة ادعت أن اصليح «عنصر في حماس» لتبرير اغتياله (5).

أو حتى تحديد توقيت ومكان الظهور.

يضيف اصليح: «أنا غطيت الحدث كصحفي مؤثر عندي متابعين ووكالات دولية ومحلية بتأخذ مني فيديوهات» مشيرًا إلى أن معدات الحماية الصحفية كانت لا تزال في مكتبه بمدينة غزة ولم يكن يرتدي سترة واقية لأنه لم يكن يعلم أن ما يجري هو إعلان لحرب شاملة.

إحدى صور التحريض الأساسية ضده كانت تجمعها برئيس حركة حماس في غزة يحيى السنوار، التقطت عام 2020 خلال لقاء جمع السنوار بصحفيين محليين، وهي ممارسة صحفية معتادة في القطاع لكن حملات التضليل حُرّفت السياق وقدمت الصورة دليلاً على «الولاء التنظيمي».

في ختام شهادته، لفت حسن إلى المفارقة في السماح لصحفيين إسرائيليين بدخول غزة لتغطية التوغّل البري، بينما يُمنع الصحفي الفلسطيني من توثيق الحدث على أرضه: «ليس مكتوب علينا ما نغطيش، وهم مكتوب عليهم يغطوا؟»

وتابع في رسالته: «الصور الأولى من الحدود بدأت بالظهور بعد ساعة ونصف تقريبًا من بداية الحدث، أي حوالي الساعة 8:00 صباحًا، وأنا كنت لا أزال موجودا في خان يونس بعيدًا تمامًا عن الحدود، لم أتحرك لتغطية ما يجري هناك إلا في وقت لاحق كما فعل صحفيون آخرون».

تُظهر الخريطة المرفقة المسافة الفاصلة بين برج الفرا الواقع في قلب مدينة خان يونس جنوب قطاع غزة وبين أقرب نقطة على الحدود

خلال هذه الفترة، انعكس التحريض الرقمي على حياة اصليح العملية والشخصية؛ إذ تلقى تهديدات علنية بالقتل عبر منصة «إكس»، بعضها من حسابات مرتبطة بعسكريين إسرائيليين من وحدة «نيتساح يهودا» (6). هذه التهديدات - مقترنة بتخلي بعض المؤسسات الإعلامية الدولية التي كان يتعاون معها مثل أسوشيتد برس وسي إن إن عن العمل معه تحت ضغط الخطاب التحريضي - أسهمت في عزله ميدانيًا وجعله أكثر عرضة للاستهداف.

«في بداية الحدث كنت في بيتي بخان يونس...، الحدث بدأ تقريبًا وأنا نائم. تفاعأت من كثافة إطلاق الصواريخ فوق بيتي، وصوّرت فيديوهات من سطح المنزل وبعثتها إلى وكالة أسوشيتد برس الأمريكية التي تواصلت معي. لم أكن أعلم حينها ما الذي يجري على الحدود».

قال حسن في تسجيل صوتي موثق أرسله للصحفي محمد عثمان (7)، يروي فيه بدقة تسلسل تحركاته في ذلك اليوم. بدأ بتوثيق المشهد من على سطح منزله ثم سلّم مقاطع أولى لوكالة الأنباء. لم يكن يعرف بعد ماذا يحدث فغادر منزله وركب سيارة إلى أحد الأبراج المرتفعة وسط خان يونس، ومن هناك رصد المشهد الأولي لإطلاق الصواريخ. وبحسب حسن بدأت الصور تظهر بعد الثامنة مؤكدًا أنه لم يكن موجودًا في محيط الحدث قبل الثامنة والنصف صباحًا.

هذه النقطة وحدها تنسف المزاعم الإسرائيلية التي اعتمدت على مقطع فيديو يُظهر اصليح يحمل قنبلة يدوية صباح السابع من أكتوبر، بدون أن تقدّم دليلًا مباشرًا

الشرقية للقطاع، وهي المسافة التي تقطعها السيارة خلال ما لا يقل عن 33 دقيقة وتمتد لحوالي 19 كيلومترًا، ويكتسب هذا المعطى الجغرافي أهمية حاسمة عند مقارنته بشهادة الصحفي الشهيد حسن اصليح الذي أكد بصوته أنه ظل متواجدًا في خان يونس حتى الساعة الثامنة والنصف صباحًا يوم السابع من أكتوبر أي بعد مرور نحو ساعة ونصف على بدء الهجوم. نحن لسنا هنا بصدد تبديد الجهد البحثي في نفي السردية الإسرائيلية من منطق أنها تعتمد ذلك، لكن يتبين أن الادعاءات التي استندت إلى صورة مفترضة أو فيديو قيل إنه يظهر فيه اصليح وهو يحمل قنبلة لا تستقيم منطقيًا ولا جغرافيًا؛ لأن وجوده في ذلك التوقيت كان مثبتًا في مكان بعيد كليًا عن الحدود، وهو ما يجعل هذه المزاعم أقرب إلى فبركات ممنهجة ضمن حملة تحريض واسعة النطاق، الغرض منها تسويق استهدافه لاحقًا واغتياله، وهو ما حدث بالفعل حين قصف الاحتلال سريره في مستشفى ناصر بعد إصابته، وهذه القراءة الجغرافية التي تربط بين الزمان والمكان تشكل دليلًا استقصائيًا يسهم في تفكيك الرواية الرسمية التي استخدمت لتبرير الجريمة.

هذه الشهادة تُفند بشكل قاطع الادعاءات التي رُوّجت لها تقارير التحريض التي زعمت أن اصليح كان جزءًا من العملية أو على علم مسبق بها، بل تُظهر أنه - كأى صحفي محترف - تفاعل مع الحدث في حينه واستجاب له ميدانيًا عبر التوثيق والنقل ضمن المعايير المتبعة في التغطية الصحفية لحالات التصعيد العسكري.

الأخطر من ذلك، أن هذه الشهادة

لم تُؤخذ بعين الاعتبار من قبل الجهات المحرّضة على اصليح لا إعلاميًا ولا سياسيًا. لقد تم تجاهل صوته الحيّ، فقط من أجل فرض رواية مسبقة تُهيئ الرأي العام الدولي لتقبّل اغتياله لاحقًا بوصفه «تصرفًا مشروعًا».

تتسم حملات التحريض ضد بعض الصحفيين بطابع ممنهج يُعاد فيه إنتاج صور ومقاطع من أرشيفهم المهني، وتُقدّم بعدة لغات في سياق اتهامي يربطهم بأنشطة سياسية أو عسكرية مصنفة في الخطاب الإسرائيلي ضمن دائرة «التهديد».

في ضوء القانون الدولي الإنساني، لا يمثل اغتيال اصليح مجرد خرق لالتزامات حماية الصحفيين بل انتهاكًا مزدوجًا؛ إذ جمع بين استهداف شخص يتمتع بالحماية المدنية واستهداف منشأة طبية، وكلاهما مصنف ضمن جرائم الحرب وفق المادة 8 من نظام روما الأساسي. كما أن الحملة التحريضية السابقة تشكل في حد ذاتها - وفق المعايير القانونية الدولية - تحريضًا على العنف ضد أشخاص محميين.

### حملات منسقة

رغم هشاشة الأدلة، إلا أن الحملات التحريضية وجدت لها صدى في مؤسسات إعلامية دولية؛ إذ أعلنت وكالتا «أسوشيتد برس» و«سي إن إن» قطع علاقتهما باصليح عقب تقرير «Honest Reporting»، وهو ما اعتبرته المنظمة «إنجازًا» ضمنيًا في بيان لها.

في خضم العاصفة التحريضية التي فجّرتها «Honest Reporting» التي وصلت إلى 21 تقريراً تحريضيًا ضد الصحفيين الفلسطينيين بغزة وُردّ فيها جميعًا اسم الصحفي حسن اصليح، أصدرت «أسوشيتد برس» بيانًا (8) يوم الخميس 9 نوفمبر/ تشرين الثاني 2023 تحاول فيه درء الشبهات عن نفسها بعد اتهامها بالتواطؤ أو التنسيق المسبق مع صحفيين مستقلين في غزة - ومن بينهم اصليح - في تغطية أحداث 7 أكتوبر. جاء في البيان أن الوكالة «لم تكن على علم بهجمات 7 أكتوبر قبل وقوعها» وأن «الصور الأولى التي تلتقتها من أي صحفي مستقل جرى التقاطها بعد أكثر من ساعة من بدء الهجمات».

البيان - رغم نبرته الدفاعية - لم يحمل تضامنًا حقيقيًا مع الصحفيين الذين طالتهم الحملة

أهمية حالة اصليح تكمن في وضوح تسلسلها الزمني؛ حيث سبقت التحريصات العلنية عملية الاستهداف الميداني بمدة كافية، وانتقلت المزاعم من منصات رقمية إلى وسائل إعلام عبرية ودولية، وأثرت على مكاتبه المهنية وعلاقاته المؤسسية قبل أن تنتهي بعملية عسكرية أولى بإصابته، وأخرى لاحقة بتصفيته داخل المستشفى. هذا التسلسل يقدم مثالًا صارخًا على ما يمكن اعتباره سلسلة مترابطة تبدأ في المجال المعلوماتي وتنتهي بقرار عملياتي، وهو ما يعكس بدرجة كبيرة المنهج الذي تسعى آليات مثل «خلية إضفاء الشرعية» إلى ترسيخه؛ حيث تُستثمر حالة فردية لصياغة خطاب عام يطعن في مشروعية العمل الصحفي الفلسطيني برمته.

أقدمت شعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية «أمان» في أعقاب 7 أكتوبر على إنشاء فريق خاص باسم «خلية إضفاء الشرعية». هذه التسمية تعكس بوضوح الوظيفة الموكلة لهذه الوحدة: إنتاج وتوفير مواد دعائية ومعلوماتية وتوظيفها لإضفاء غطاء «قانوني» أو «أخلاقي» على أفعال الجيش الإسرائيلي في غزة بما في ذلك استهداف الصحفيين.

بها وكالات دولية عديدة مراسلا ومصوّرا صحفيا ميدانيا. يعكس البيان موقفًا أخلاقيا مأزوما للوكالة الأمريكية، فمن خلال محاولتها الموازنة بين الضغوط الإسرائيلية وعملها الصحفي وقعت في فخ التساوق مع السردية الإسرائيلية عبر التخلي عن الدفاع المهني عن أحد الصحفيين المتعاونين معها.

### الصحفيون الإسرائيليون واجهة للجيش

تظهر شواهد ميدانية وإعلامية متكررة أن قطاعات واسعة من الصحافة الإسرائيلية لا تقف على مسافة من المؤسسة العسكرية،

بل اختارت الوكالة أن تُعلن صراحة أنها «لم تعد تعمل مع حسن اصليح». بهذه العبارة المقتضبة تخلت الوكالة عن أحد أبرز المصورين الذين ساهموا في تغطية حروب غزة المتعاقبة، وأطلقت إشارة ضمنية إلى أن إنهاء التعاون هذا يأتي تحت ضغط الخطاب التحريضي وليس بدافع مهني.

المفارقة أن بيان «أسوشيتد برس» ذاته فند ادعاءات «Honest Reporting» من حيث توقيت تلقي الصور، وهو ما يتوافق مع التسجيل الصوتي لحسن اصليح. ورغم ذلك، اختارت الوكالة أن تتخلى عنه دون أدنى إشارة إلى حقه في الرد أو إلى الخلفية المهنية الطويلة التي خدم



الصحفي الشهيد حسن اصليح، قتله الاحتلال الإسرائيلي من خلال استهدافه مرتين بعد حملة تحريض ممنهجة أثرت على حياته العملية والشخصية طوال فترة تغطيته للحرب (الجزيرة نت).

بل تعمل ضمن منطق «الجهة الواحدة» حيث يذوب الخط الفاصل بين الصحفي والجندي ليعملا معا في خندق واحد. من أبرز الأمثلة على ذلك واقعة الصحفي الإسرائيلي داني كوشمارو المراسل البارز في القناة 12 الذي شارك بصورة مباشرة في مرافقة قوة من الجيش الإسرائيلي خلال عملية ميدانية في جنوب لبنان انتهت بتفجير منزل مستهدف. ظهوره في قلب الحدث بصفته جزءاً من التشكيل الميداني المهاجم لم يكن مجرد تغطية إعلامية بالمعنى التقليدي، بل مشاركة عملياتية تنسجم مع أهداف الجيش الإسرائيلي وتخضع لروايته وإملاءاته، وهو ما يجعل الصحافة الإسرائيلية في هذه الحالة امتداداً عضوياً للأذرع العسكرية وليست مراقباً مستقلاً.

هذا النمط من التداخل المهني - العسكري يكتسب دلالة خاصة عند مقارنته بحالة الصحفيين الفلسطينيين الذين يزاولون عملهم الميداني في ظروف مشابهة، لكنهم يتحولون إلى أهداف للتصفية الجسدية تحت مبررات أمنية ملفقة؛ ففي حالة حسن اصليح أعقب اغتياله مباشرة نشر منظمة CAMERA الإسرائيلية تقريراً تحريضيًا بعنوان: Press Advisory: 'Journalist' Hassan Esiaiah Was A Hamas Operative Who Celebrated Terror، أعادت فيه تدوير مزاعم قديمة - بعضها يعود لعام 2018 - بهدف نزع صفته المهنية وتثبيت سرديته أن قتله لم يكن جريمة بل إجراء أمني مبرر. استخدمت المنظمة صوراً له من مناسبات علنية مع شخصيات من حماس، وقدمتها أدلة على «ارتباط عضوي» كما استندت إلى تقارير إعلامية إسرائيلية تزعم مشاركته في اقتحام 7 أكتوبر، رغم ثبوت

عدم مغادرته خانيونس في ذلك التوقيت وفق تسجيلات موثقة. وبالمثل، فإن التحريض لم يتوقف على الصحفي أنس الشريف حتى بعد استشهاده؛ إذ نشر المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي أفيخاي أدري مزاعم تفيد بأنه «عسكري في حماس»، لتتماهى معظم وسائل الإعلام الإسرائيلية مع هذه الرواية دون تقديم أي دليل ملموس، في استمرار لآلية التشويه بعد القتل.

” أهمية حالة اصليح تكمن في وضوح تسلسلها الزمني؛ حيث سبقت التحريصات العلنية عملية الاستهداف الميداني بمدة كافية، وانتقلت المزاعم من منصات رقمية إلى وسائل إعلام عبرية ودولية، وأثرت على مكانته المهنية وعلاقاته المؤسسية قبل أن تنتهي بعملية عسكرية أولى بإصابته، وأخرى لاحقة بتصفيته داخل المستشفى.

ولا يقتصر هذا النمط على البيئة الإسرائيلية الداخلية، بل يمتد إلى كبرى وسائل الإعلام الغربية التي تعجّ بصحفيين إسرائيليين خدموا بأنفسهم في الجيش أو في أجهزته الاستخباراتية، ويشغلون مواقع مؤثرة في صياغة الرواية الإخبارية المتعلقة بفلسطين وإسرائيل.

وفقاً لتحقيق نشره موقع MintPress News، تضم هذه

القائمة مجموعة واسعة من الصحفيين المؤثرين في الإعلام الغربي، وعلى رأسهم الصحفي الشهير باراك رافيد وهو محلل سابق في وحدة الاستخبارات 8200 وجندي احتياط حتى 2023، يشغل منصب مراسل سياسي في الولايات المتحدة وكاتباً في «أكسيوس»، ويعتمد على مصادر إسرائيلية وأمريكية مجهولة لتلميع صورة الاحتلال، وكذلك شاكار بيليد وهي ضابطة سابقة في الوحدة 8200 ومحللة في الشاباك، عملت منتجة وكاتبة في سي أن أن لبرامج فريد زكريا وكريستيان أمانبور. ومنهم تال هنريش وهي مجتدة سابقة في الوحدة 8200 ومنتجة ميدانية ومراسلة سابقة في القدس لـ سي أن أن أيضاً، وتشغل حالياً منصب المتحدث باسم رئيس الوزراء الإسرائيلي. كذلك تمار ميكائيليس وهي متحدثة سابقة باسم الجيش الإسرائيلي وتعمل الآن في نفس المؤسسة. آنا شوارتز وهي ضابطة سابقة في المخابرات الجوية الإسرائيلية انضمت إلى نيويورك تايمز وساهمت في تقرير مثير للجدل حول غزة فُقد صدقيته. جيفري غولدرغ رئيس تحرير «ذا أتلانتيك» وجندي سابق في الجيش الإسرائيلي. وأخيراً ديفيد بروكس كاتب رأي في نيويورك تايمز وابنه يخدم في الجيش الإسرائيلي.

إن تداخل هذه الخلفيات العسكرية والاستخباراتية مع العمل الصحفي في مؤسسات إعلامية دولية كبرى يُنتج بيئة منحازة بطبيعتها لصالح الرواية الإسرائيلية، ويُضعف القدرة على إنتاج تغطية مستقلة أو نقدية، وهو ما يعزز من هيمنة خطاب الاحتلال على منصات إعلامية يفترض أنها عالمية ومحيدة.

تكشف هذه المعطيات أن العلاقة بين قطاعات واسعة من الإعلام الإسرائيلي والمؤسسة العسكرية ليست علاقة رقابة أو مسافة مهنية، بل اندماج وظيفي يجعل من الصحفي جزءاً من منظومة الحرب يروج روايتها ويمنحها غطاءً شرعياً. وفي المقابل، يُجرّد

الصحفي الفلسطيني من حمايته المهنية ويُستهدف جسدياً ورمزياً عبر حملات تشويه وتحريض تمتد حتى بعد اغتياله، في مسعى لتبرير الجريمة بأثر رجعي. ولا يقف هذا النمط عند حدود إسرائيل بل يتسرب إلى كبريات غرف الأخبار الغربية التي تضم في صفوفها

صحفيين بخلفيات عسكرية واستخباراتية إسرائيلية، وهو ما يضمن انحياز السرد الإعلامي لصالح الاحتلال ويقوّض أي إمكانية لتغطية مستقلة أو نقدية حول الشعب الفلسطيني، خاصة حول من هم تحت سيناريوهات الإبادة والتهجير في غزة.

## ” المراجع

1) [https://x.com/yuval\\_abraham/status/1954709405921841368](https://x.com/yuval_abraham/status/1954709405921841368)

2) HonestReporting Staff, «Exposés: Broken Borders: AP & Reuters Pictures of Hamas Atrocities Raise Ethical Questions», November 8, 2023.  
<https://honestreporting.com/photographers-without-borders-ap-reuters-pictures-of-hamas-atrocities-raise-ethical-questions/>

3) مركز أورشيف الاستخبارات الإسرائيلية «مثير عميت»، «نشاطات حماس الاستخبارية في قطاع غزة»، 26 ديسمبر 2023.  
[https://www.terrorism-info.org.il/app/uploads/2023/12/H\\_281\\_23.pdf](https://www.terrorism-info.org.il/app/uploads/2023/12/H_281_23.pdf)

4) تقرير مؤسسة CAMERA. حول حسن اصليح عقب استشهاده، 18 مايو 2025.  
<https://www.camera.org/article/camera-op-ed-israel-killed-a-terror-operative-in-gaza-not-a-journalist/>

5) بيان مؤسسة CAMERA، 13 مايو 2025.  
<https://www.camera.org/article/press-advisory-journalist-hassan-eslaiah-was-a-hamas-operative-who-celebrated-terror/>

6) تغريدة «إسرائيل ديسكيند، عبر منصة X، 9 نوفمبر 2023.  
[https://x.com/israel\\_diskind/status/1722576122821448089](https://x.com/israel_diskind/status/1722576122821448089)

7) رسالة متداولة بين الصحفي حسن اصليح والصحفي محمد عثمان، يتحدث فيه حسن اصليح عن تحركاته التي سبقت وصوله للمنطقة الحدودية شرق غزة،  
<https://www.facebook.com/mohammed.othman1987/videos/644856038551438>

8) بيان أسوشيتد برس، 9 نوفمبر 2023.



# جندي برتبة مراسل أو صحافة على مقاس الجيش الإسرائيلي

سجود عوايص

يقدم المقال قراءة تاريخية في أثر المراسل العسكري الإسرائيلي وأدواره المتماهية مع الفعل الحربي منذ ما قبل النكبة، عبر نقل أخبار العصابات الصهيونية وخلق حالة من التماهي بين الصحافة والعنف. وقد تحولت هذه «الوظيفة» لاحقاً إلى أداة لتدويل الرواية الإسرائيلية، قبل أن تصبح مرجعاً أساسياً في تغطية الحروب مثل العراق وأوكرانيا.

في الرابع عشر من مايو/ أيار 1948، أعلن دافيد بن غوريون قيام دولة «إسرائيل» على أرض فلسطين، ليتحول الوجود الصهيوني على الأرض العربية إلى دولة يهودية متكاملة الأذرع والنظم، لکن إعلان بن غوريون نفسه -الذي يُعرف بالنكبة- لم يكن انطلاقة الإعلام الإسرائيلي، بل إنه انطلق قبلها بـ 29 عامًا على الأقل، (1) من خلال مجموعة صحفٍ من بينها هآرتس ويديعوت أحرونوت وجيروزاليم بوست -وقد كان اسمها Palestine Post- وغيرها، التي صاغت سردًا يمهّد لـ«إعلام على مقاس العسكر»، عبر تقاطع جذري بين الكلمة وأداة القوة (الإعلام والجيش) محليًا وغربيًا، وتاليًا عربيًا.

من هذا التقاطع الذي ازداد وضوحًا مع حرب الإبادة الإسرائيلية على قطاع غزة، تنطلق السطور التالية في تقصي جذور الإعلام العسكري الإسرائيلي منذ النكبة، عبر تتبّع نشأة منصب المراسل العسكري وأدواره خلال الحروب، وتحول هذا الدور إلى نموذج عالمي في الصحافة المدمجة «استنسخ» غربيًا بدايةً من حرب العراق 2003 وحتى الحرب الروسية على أوكرانيا سنة 2022، متتبّعًا القالب العسكري الإسرائيلي في بناء الرواية وصياغة الخبر الحربي.

## جُندي برتبة مراسل

بالترزامن مع تنامي الهجرة اليهودية إلى فلسطين والمساهمة الصهيونية في كتائب الاستعمار البريطاني (الكتائب 38، 39، 40)، ظهرت جُملة صحفٍ ناطقة بالعبرية تنقل إلى جمهورها أخبار هذه الكتائب ومساهماتها في الاحتلال البريطاني، كان من بينها

صحيفة هآرتس التي يصدرها مُنظّر الجدار الحديدي زئيف جابوتنسكي، (2) بتغطيته دخول الكتبتين 38 و39 والفيلق اليهودي إلى الجزء الجنوبي من فلسطين، ثم السيطرة على معابر نهر الأردن والمناطق المحيطة.

وفيما وازنت هآرتس بين السياسي والعسكري، جاءت صحيفة يديعوت أحرونوت لتضيء منذ يومها الأول على العمليات الحربية والعسكرية لكل من العصابات الصهيونية وسأطات الانتداب البريطاني بحق العرب الفلسطينيين، فحمل عددها الأول نهاية الثلاثينيات عنوان «البريطانيون يشنون هجومًا على الجبهة الغربية»، (3) قبل أن ينفرد اليهودي الأوكراني جوزيف تامير (4) بلقب «المراسل العسكري» لكل من هآرتس ويديعوت أحرونوت ومعاريف وهابوكر ودفار وفلسطين بوست، من الأعوام 1935 حتى نهاية العام الأول من النكبة مُغطّيًا عمليات الهاجاناه وإعلان الدولة وأحداث حرب 1948 بأسلوبٍ احترافي.

أما على المستوى الرسمي، فعشية إعلان دافيد بن غوريون عن دولته، عيّن صديقه الكاتب اليهودي الإنجليزي الأصل موريس بيرلمان (5) -عُرف لاحقًا باسم موشيه بيرلمان - المتحدث باسم الهاجاناه حينها، (6) مديرًا لوحدة «الاتصال الصحفي» قبل أن يتطور المنصب لاحقًا للمتحدث العسكري باسم الجيش الإسرائيلي، ويؤسس بيرلمان أول مكتب صحافة حكومي إسرائيلي، ويؤدّي دورًا تأسيسيًا في المنظومة الإعلامية الرسمية، مضطلعًا بتهديب خطابات بن غوريون باللغة الإنجليزية وتجويدها بما يناسب الطبيعة الغربية لجمهور الولايات المتحدة وبريطانيا.

تقاطع العسكر بالإعلام الذي بدأ على يد جابوتنسكي ثم أصبح مهنةً احترافية بقلم جوزيف تامير، قبل أن يتحول إلى مهمة إعلامية رسمية تتحكم بالمقروء والمسموع، هذا التقاطع تحوّر مع حرب الأيام الستة إلى نموذجٍ طبيعى للإسرائيلي الذي بإمكانه رفد ميدانه المهني والعسكري في مهمة واحدة، فرغم تجاوز بيرلمان عمر الشباب إبان النكسة إلا أنه خدم في الجيش بالتوازي مع دوره متحدثًا رسميًا باسمه، كما فعل العشرات من الصحفيين الإسرائيليين مثل زئيف شيف، وجدعون شوكن الذي حصل على منصب رائد خلال خدمته في عصابات الهاجاناه، ثم منصب لواء في جيش الاحتلال الإسرائيلي.

عشية إعلان دافيد بن غوريون عن دولته، عيّن صديقه الكاتب اليهودي الإنجليزي الأصل موريس بيرلمان المتحدث باسم الهاجاناه حينها، مديرًا لوحدة «الاتصال الصحفي» قبل أن يتطور المنصب لاحقًا للمتحدث العسكري باسم الجيش الإسرائيلي.

هناك أيضًا داني روبنشتاين الذي خدم جنديًا في الكتيبة الأولى التي احتلت الضفة الغربية عام 1967، ثم شغل منصب محلل الشؤون العربية في هآرتس، ورافائيل أمير مراسل صوت إسرائيل. وميرون مدزيني مدير الصحافة الحكومية والمتحدث السابق باسم رئيسة



انطلق الإعلام الإسرائيلي قبل 29 عامًا على الأقل من تاريخ «النكبة» 1948 من خلال مجموعة صحف من بينها هآرتس وديعوت أحرونوت وجيروزاليم بوست -وقد كان اسمها Palestine Post- وغيرها- والذي كان يمهد لسيطرة الإعلام الحربي على الرواية (أرشيف غيتي).

الحكومة غولدا مائير. وكاريل غاردوش الصحفي الذي وثق حرب النكسة من خلال رسوماته الكرتونية لشخصية «سروليك» (7) الجندي المدجج الذي يحقق انتصارات سريعة خلال النكسة، وغيرهم الكثير.

وفي الواقع فإن ترسخ موقع المراسل العسكري خلال حرب عام 1967، لم يكن عشوائيًا بل جاء نتيجة مزاجية بين الرقابة والتعبئة وتوحيد الرواية ثم تدويلها. فقد تم التحكم فيما يمكن نقله ونشره عبر الرقابة العسكرية فيما اتسع المدى الجغرافي لما يقدمه المراسلون العسكريون عبر وحدة الناطق باسم الجيش، وأسبغ عليها الطابع القانوني عبر منظومة إعلام مستقل تتبع الجيش وتدعمه مثل إذاعة الجيش ومجلاته، وهو ما حوّل عمل المراسل من ناقل وسيط للمعلومات مُدمج داخل مؤسسة الدولة إلى ناطق باسمها.

## مراسلٌ يحمل قذيفة: من حرب لبنان إلى حرب غزة

أما التحول من ناطق إلى وجه دولي للرواية الأمنية الإسرائيلية، فقد اتخذ بُعده الأول باجتياح لبنان سنة 1982، حين ظهرت النسخة الإسرائيلية الأولى من «المراسل المرافق للوحدات العسكرية» أو ما عُرف لاحقًا باسم Embedded Journalist، عبر جيل من المراسلين العسكريين الذين ترسّخت مكانتهم محليًا ودوليًا، كـمحلّي الأمن أو خبراء في شؤون الجيش والشؤون العسكرية، كان من أبرزهم: إيتان هابر، ورام أورن، وآدم باروخ، وأوري دان الصحفي المقرب من أرئيل شارون، وزئيف شيف (8) الذي نُشرت تغطيته في صحفٍ أوروبية

وأمركية بصفته محلاً ومراسلاً عسكرياً يجمع بين الصحافة والعلاقة المتينة مع الجيش، وموشيه فيردي الذي نقل مجريات معركة بيروت وتفاصيل عمليات المقاومة الفلسطينية إلى وسائل إعلام دولية.

هناك أيضًا روني دانيال (9) الذي أجرى مقابلات مع كبار ضباط الجيش ووفر للقناة الإسرائيلية الثانية -القناة 12 لاحقًا- تغطية متتابعة للعمليات العسكرية، ورون بين يشي الذي تنقل بين الأزقة مبرزًا تأثير الحصار الإسرائيلي على سُكان بيروت، وعمليات الجيش في

ترسخ موقع المراسل العسكري خلال حرب عام 1967، لم يكن عشوائيًا بل جاء نتيجة مزاجية بين الرقابة والتعبئة وتوحيد الرواية ثم تدويلها، فقد تم التحكم فيما يمكن نقله ونشره عبر الرقابة العسكرية فيما اتسع المدى الجغرافي لما يقدمه المراسلون العسكريون عبر وحدة الناطق باسم الجيش.

المناطق الحدودية. التقاطع والشراكة بين الإعلام والعسكر، أهل مراسلي وصحفيي حرب لبنان لاحقًا لتصدّر موقع كتاب ومؤرخي حرب لبنان 1982 على مستوى دولي وإقليمي؛ وذلك نتيجة تماشهم المباشر مع الأحداث الميدانية وانخراطهم مع وحدات الجيش في الخطوط الأمامية، وقدرتهم على تفسير القرارات العسكرية والسياسية، وما أُتيح لهم من صلاحيات استثنائية للوصول إلى المعلومات الميدانية من خرائط وخطط وتقييمات.

لقد استطاع عددٌ منهم تقديم سرد إعلامي موثق بالصور والخرائط عن واقع الحرب وأسرارها العسكرية والميدانية، ناهيك أن قربهم العسكري من كبار الضباط -نتيجة خدمتهم في وحدات الجيش- وفر لهم الوصول إلى شهادات ومقابلات غنية بالتفاصيل، فأصبح المراسل العسكري محلاً ومؤرخاً وشاهدًا على لحظة تاريخية، مثل كتاب «حرب لبنان الإسرائيلية: حرب الخداع» (10) لرؤيف شيف الذي أضحى مرجعًا أكاديميًا وإعلاميًا هامًا للباحثين، وكتابه الآخر «حرب لبنان 1982» مع إيهود يعاري، وهناك أيضًا «حرب لبنان: حسابات شخصية وتحليلية» للصحفي رون بن يشاي الذي كان من أوائل الصحفيين الإسرائيليين الذين دخلوا صبرا وشاتيلا بعد المذبحة، وجمع تجاربه الميدانية عن العمليات والوحدات العسكرية والمعارك في لبنان خلال الاجتياح.

جاء التتويج العملي للعلاقة بين العسكر والإعلام مع الحرب الإسرائيلية على غزة 2014، حين تعاضم توجيه الوصول الميداني عبر الناطق العسكري والرقابة في جولات صحفية محدّدة للطواقم

الصحفية برفقة وحدات من الجيش على حدود غزة وداخلها، واستُبقت إصداراتها الإعلامية بقيود رقابية على التفاصيل العملية، وهو ما حول المراسل إلى مروج لحظي لسردية الجيش وعملياته، بالتزامن مع تضييق أكبر على طواقم الصحافة الدولية التي وجدت في ترجمة الإعلام الإسرائيلي نافذة لتعريف الحرب ومنطقها.

**التقاطع والشراكة بين الإعلام والعسكر، أهل مراسلي وصحفيي حرب لبنان لاحقًا لتصدّر موقع كتاب ومؤرخي حرب لبنان 1982 على مستوى دولي وإقليمي؛ نتيجة تماشهم المباشر مع الأحداث الميدانية وانخراطهم مع وحدات الجيش في الخطوط الأمامية، وقدرتهم على تفسير القرارات العسكرية والسياسية، وما أُتيح لهم من صلاحيات استثنائية للوصول إلى المعلومات الميدانية من خرائط وخطط وتقييمات.**

فعليًا، منذ اللحظة الأولى لتحرك الصهيونية نحو فلسطين، وجد الإعلام دائمًا موطئ قدم له في المنتصف؛ بين ما يدعوّه الغرب "حرية التعبير والنقل"، وما تراه المنظومة الإسرائيلية حاجة لـ «التعبئة الوطنية بدون شوائب» و «السمعة الدولية لإسرائيل». على هذ وُقِع الموازنة تأسيس إعلامٍ إسرائيلي بعدة وجوه، لكنها جميعًا

بمقاس واحد. إحدى هذه الوجوه تتمثل في مساحات النقل الحر للرواية العسكرية الإسرائيلية ما دامت تُرسخ القوة والهيمنة واليد الطولى التي لا تهاب البطش، أما الوجه الآخر فهو تجسير الفجوات بين الجُهد العسكري والإنجاز -الذي لا يكون مُتحققًا دومًا- بما يدعم التعبئة والتوحد خلف الجيش، بينما يبرز الوجه الثالث في الحفاظ على الأسرار العسكرية في حدود المستطاع.

بهذه الأوجه، أثبت الإعلام الإسرائيلي أنه يتبع الجيش أولاً وأخيرًا، وأن اختلاف الآراء وحرية التعبير تنتفي أمام الأوامر والرقابة العسكرية، وأن لكل دولة جيش وإعلام، أما في إسرائيل فهناك جيش يعمل الإعلام والدولة وفق بوصلته.

## النسخة الغربية للمراسل العسكري

النتائج المباشرة للمزاوجة بين العمل الإعلامي والانغماس الحربي في الميدان، لفتت أنظار الخبراء العسكريين الغربيين الذين وجدوا في التجارب الإسرائيلية مرشدًا لهم، ما شجع وزارة الدفاع الأمريكية (11) عام 2003 على تأسيس وحدة خاصة بالصحفيين المدمجين مع القوات المسلحة، تؤسس لتمكين إستراتيجي في صنع السياسة الخارجية الأمريكية، وتُضفي شرعية على عملياتها العسكرية في العراق، وضمت لها ما بين 600-700 صحفي تم إخضاعهم لتدريب مسبق.

الوحدة التي جاءت استجابة لانخفاض فرص الوصول إلى الصحفيين في حروب سابقة مثل



أثبت الإعلام الإسرائيلي أنه يتبع الجيش أولاً وأخيراً، وأن اختلاف الآراء وحرية التعبير تنتفي أمام الأوامر والرقابة العسكرية، وأن لكل دولة جيش وإعلام، أما في إسرائيل فهناك جيش يعمل الإعلام والدولة وفق بوصلته (رويتزر).

الإعلامية والعسكرية والنفسية على حد سواء، ودفعها لإجراء دراسات إعلامية وسيكولوجية تُحلل فيها صياغة الرسالة الإعلامية وتأثيراتها على الجمهور والفوائد العسكرية والسياسية المتوخاة من هذا النموذج، ومقارنة ذلك بالتبريرات السياسية وبالدعاية الإعلامية التي يمكن للحكومات أن تتبناها لتبرير صراعاتها أو صناعة سياستها الخارجية أو حشد الرأي العام نحو تأييدها، وربما نحو ممارسة نفوذها بأشكال أخرى عبر وسائل الإعلام. بالمحصلة، لم يكن المراسل العسكري يوماً سوى سلاح آخر منضو تحت الراية التي تحميه، أيًا كانت البزة التي يرتديها، وإذا كان الإعلام الغربي قد رآه جنديّ الحقيقة في قلب الجبهة، فإن التاريخ يثبت أن الحقيقة نادراً ما تنطق باسم ضحايا الحروب، بل

المجتمع الإعلامي الغربي ثنائية العسكر والإعلام بشكل كبير، مفضلاً التركيز على الإنتاج الصحفي والإعلامي، ونتيجة لذلك برز صحفيون مثل جيمس فولبي (12) الذي عمل صحفياً مدمجاً ضمن الجيش الأمريكي في العراق وأفغانستان، ولارا لوغان (13) التي غطت المعارك ضمن صفوف القوات الأمريكية البريطانية في العراق وأفغانستان ما بين 2002-2005، وبن سولومون (14) الذي رُشح لجائزة إيمي عن فيلمه «The Fight for Fallujah» الذي أعده باستخدام تقنية الواقع الافتراضي (VR) خلال تغطية ميدانية مع الجيش العراقي عام 2016.

بالنظر من زاوية أخرى، فإن نموذج «المراسل العسكري الإسرائيلي» وتالياً الغربي، لفت أنظار الميادين

حرب الخليج الأولى (1990-1991) وغزو أفغانستان عام 2001، حُكمت بمنظومة أمن عملياتي مختلفة عن بقية وحدات التحالف الدولي، مكنت الصحفيين من الانخراط في مناطق النزاع والدخول إلى ساحة المعارك مقابل قيود على الحركة والمعلومة تُحدّد ما يمكن وما لا يمكن نشره.

رغم الانتقادات والاتهامات بالتحيز ومقايضة الحصانة الميدانية بالشفافية المطلقة، إلا أن ذلك لم يمنع الإعلام الغربي من تكرار التجربة مرة أخرى -ولو بدرجة أقل- خلال الحرب الروسية الأوكرانية، عبر الانضمام إلى صفوف القوات الغربية والأوكرانية بهدف الوصول للميدان والحصول على تغطية مباشرة لأحداثه.

وخلال السنوات السابقة تجاهل

# المراجع

باسم القوة التي تخوضها.

1) The National Library of Israel, "The Yishuv and State of Israel Press," <https://n9.cl/o4ov2> .

2) Brian (Yossi) Horowitz, The Iron Wall Revisited: Utopian Paradigms in Jabotinsky's Conception of Zionism, Circa 1923, Jabotinsky Institute, <https://en.jabotinsky.org/>.

3) Press Reference. (n.d.). Israel press, media, TV, radio, newspapers.<http://www.pressreference.com/Gu-Ku/Israel.html>

4) Kinnereti, Aryeh. "Yosef Tamir – The «Black Sheep» of the Liberals." Davar, 2 Sept. 1979. <https://2u.pw/ATROG>

5) «Pearlman, Moshe (1911–1986).» National Library of Israel.<https://www.nli.org.il/en/a-topic/987007266329805171>.

6) هو تجمع شبه عسكري يهودي نشأ في فلسطين خلال الفترة (1920–1948)، وتلقت الطلائع الأولى من قواته تدريباً على يد الانتداب البريطاني. مع إعلان قيام دولة إسرائيل، أصبح النواة الأساسية لجيش الدفاع الإسرائيلي.

7) «Srulik Returns.» The iCenter. [https://theicenter.org/icenter\\_resources/srulik-returns/](https://theicenter.org/icenter_resources/srulik-returns/).

8) «Zeev Schiff.» The Washington Institute. <https://www.washingtoninstitute.org/experts/zeev-schiff>.

9) Stern, Itay. "Veteran Israeli Military Correspondent Roni Daniel Dies at 73." Haaretz, July 26, 2021.<https://2u.pw/kUi4M>.

10) Schiff, Zeev, and Ehud Yaari. Israel's Lebanon War. New York: Simon & Schuster, 1985 & ThriftBooks. "Zeev Schiff – Author Page." <https://2u.pw/Wr4LC>

11) Cortell, A. P., Eisinger, R. M., & Althaus, S. L. (2009). Why Embed? Explaining the Bush Administration's Decision to Embed Reporters in the 2003 Invasion of Iraq. American Behavioral Scientist, 52(5), 657-677.

12) Wikipedia. S.v. "James Foley (journalist)." Accessed August 18, 2025. [https://en.wikipedia.org/wiki/James\\_Foley\\_/.28journalist/.29](https://en.wikipedia.org/wiki/James_Foley_/.28journalist/.29).

13) Wikipedia. S.v. "Lara Logan." Accessed August 18, 2025. [https://en.wikipedia.org/wiki/Lara\\_Logan](https://en.wikipedia.org/wiki/Lara_Logan).

14) Solomon, Ben C. "About." Ben C. Solomon. N.d. Accessed August 18, 2025.

Human rights  
for everybody!

STOP  
ACOSO  
RACISTA.

## حجب المعلومات الضارة قد يكون ضاراً

إيليا توبر  
ترجمة: إيمان أكرم أبو حية

يقترح المقال اجتهادا تحريريا وأخلاقيا جيدا يقوم على السماح بذكر الجنسيات والأعراق عند تناول القضايا المرتبطة بالجرائم أو العنف لفهم الخلفيات والديناميات المجتمعية. يستند هذا الاجتهاد على الأحداث العنصرية التي تقودها جماعات من أقصى اليمين في إسبانيا ضد المغاربة بتهمة أنهم مجرمون رغم أن الأرقام والسياقات تثبت عكس ذلك.

في محاولة لإقناع الرأي العام بأن «المهاجرين يجلبون الجريمة إلى إسبانيا». لذلك جرى اعتماد قاعدة عدم ذكر هذه التفاصيل باعتبارها وسيلة لتفادي تغذية العنصرية.»

”  
حجب المعلومات الحساسة لا يعني بالضرورة حماية المجتمع بل قد يمهد الطريق لضرر أكبر؛ ففي واقعة توري باتشيكو، تبين أن المشتبه بهم الذين أوقفهم الشرطة مغاربة فعلاً لكنهم ليسوا من البلدة. ومع ذلك لم يكن ليحدث هذا المسار كله لولا الرسائل المتداولة على المنصات الرقمية التي اتهمت المغاربة زوراً بجرائم لم يرتكبوها.

لكن في الوقت الراهن لم تحقق هذه السياسة غايتها؛ فالغياب التام لأي معلومات عن الخلفية العرقية للمشتبه بهم أتاح لأقصى اليمين إلصاق كافة الجرائم بالمغاربة دون أن تتوفر وسيلة سهلة لدحض أخبارهم الزائفة. قبل سنوات كان اليمين الإسباني يوجه خطاباً عنصرياً ضد المهاجرين من أميركا اللاتينية لكن الحال تبدلت، واليوم يحاول بعض المقيمين من أميركا اللاتينية في إسبانيا الاصطفاف إلى جانبهم في مواجهة ما يسمونه «الخطر الإسلامي».

وكان بابلو غونثالث غاسكا (2) عضو حزب فوكس اليميني وأحد أبرز الداعين لتشكيل «ميليشيا مدنيّة» تمارس ما وصفه «الدفاع المشروع» ضد من «ينشرون الجريمة في شوارعنا». والحال أن غاسكا ليس من سكان مورسيا أصلاً، وهو معروف بنشاطه الطويل والمكثف على تويتر، حيث دأب على نشر صور ومقاطع فيديو يزعم أنها توثق حوادث إجرامية كالسرقة أو الاعتداء، مع إصراره شبه الدائم على أن مرتكبيها «مغربيون»، من دون أن يقدم أي دليل يثبت ادعاءاته.

وهناك آخرون يغردون بشكل منتظم بعنوانين أخبار عن توقيف مشتبه بهم، ويكررون الادعاء ذاته، وعند التحقق من الخبر الأصلي يظهر أنه لا يتضمن أي إشارة إلى العرق أو الجنسية. وعلى ذات النهج تقوم عدة مواقع إسبانية يمينية متطرفة - مواقع لا يصح وصفها بالصحف حتى لا تُهين المهنة - بنسخ حرفي للخبر من وكالة أنباء رئيسية كما تفعل معظم الصحف، ثم تضيف بعد ذلك ببساطة كلمة «مغربي» في العنوان أو المقدمة.

في المقابل، فإن العديد من منصات التحقق الإسبانية (3) فنّدت هذه المزاعم، وأثبتت أن المشتبه بهم في حالات كثيرة ليسوا من المهاجرين على الإطلاق. لكن هذه المهمة شاقة؛ فعادة ما تمتنع الصحف الإسبانية وبالمثل تصريحات الشرطة -التي تعتمد عليها بصفحتها مصدرا - عن تقديم أي إشارة حول الخلفية العرقية أو الدينية للمشتبه بهم. وقد اعتُبر ذلك لسنوات «ممارسة صحفية سليمة»؛ لأن الإشارة إلى الجنسية أو العرق كان سيُتيح لجماعة اليمين المتطرفة انتقاء العناوين وترويجها لربط الجرائم بالمهاجرين،

في الحادي عشر من يوليو/تموز 2025، احتشد عشرات الشبان في شوارع بلدة توري باتشيكو (Torre Pacheco) الواقعة في إقليم مورسيا جنوب شرقي إسبانيا التي يقطنها نحو 40 ألف نسمة. كان العديد منهم يرتدون قمصاً سوداء ويتسلحون بالعصي ومضارب البيسبول، ويهتفون معاً: «هيا لصيد المهاجرين».

غير أنهم كانوا يقصدون فئة بعينها، وهم المهاجرون المغاربة، وعادة ما يطلقون عليهم محلياً اسم «المغربيين»، رغم أن المغربيين الذين ولدوا في المغرب يشكلون نحو 90٪ من إجمالي سكان إسبانيا المنحدرين من أصول شمال أفريقية، وثلاثي المسلمين في البلاد. وعلى هذا الأساس يُختزل كل من المسلمين والمغاربة وما يُعرف في بلدان أخرى «بالعرب» في صورة عدو واحد: «الهجرة غير المرغوبة».

هذا التصوّر العدائي تشكّل عبر نشاط مكثف على شبكات التواصل الاجتماعي استمر لأشهر عديدة. وعلى خلاف خطاب أقصى اليمين في العقود الماضية، لم يعد الادعاء الرئيسي أن «المهاجرين يسلبون وظائفنا» بل انتقل خطابهم إلى اتهام المهاجرين بأنهم «مجرمون». وقد كان الدافع المباشر لتجمع ناشطي أقصى اليمين في توري باتشيكو جريمة وقعت سابقاً؛ حيث تعرض إسباني مسنّ لاعتداء وضرب مبرح على أيدي شبان ظنّ أنهم مغاربة في حين أن الفيديو الذي جرى تداوله عن الحادثة الذي استُخدم في الدعوة لـ «صيد المهاجرين» كان مغفركاً؛ إذ أظهر (1) رجلاً آخر تعرّض للضرب قبل أسابيع على يد مهاجرين إسبان ليسوا من المهاجرين، لكن هذه الحقيقة لم تعد ذات أهمية بعد نجاح حملة التحريض.



فندت منصات تحقق إسبانية ادعاءات الجماعات اليمينية حول خلفيات بعض مرتكبي الجرائم الذين تبين أنهم ليسوا مهاجرين.

13٪ من السكان، فيما لا تكاد تصل نسبة المغاربة إلى 1٪. وعلى الصعيد الوطني، تُعدّ إسبانيا من أعلى الدول الأوروبية من حيث نسبة السكان المولودين خارج الاتحاد الأوروبي، لكنها في المقابل تقع عند الطرف الأدنى لمعدلات الجريمة في القارة (5).

أرى أنه من منظور أخلاقيات المهنة لا يُعدّ حجب المعلومات بذريعة «خدمة قضية نبيلة» أمراً مقبولاً. صحيح أننا في العمل الصحفي يحكمنا مبدأ أساسي هو «تقليل الضرر» لكن هذا المبدأ يجب أن يشمل - قبل كل شيء - تفادي إلحاق الضرر بالأفراد.

- الرسائل المتداولة على شبكات التواصل الاجتماعي التي اتهمت المغاربة زوراً بجرائم لم يرتكبوها وبناء عليه ثمة حقيقتان ينبغي توضيحهما؛ أولاً: لا توجد علاقة بين ارتفاع نسبة المهاجرين في المجتمع وارتفاع معدلات الجريمة؛ ففي توري باتشيكو يشكل المهاجرون نحو ثلث السكان، نصفهم من المغاربة وفقاً للإحصاءات الرسمية. غير أن «المعدل المحسوس» يبدو أعلى؛ لأن المهاجرين في إسبانيا يحصلون عادة على الجنسية بعد 10 سنوات من الإقامة القانونية، ومعظم الجيل الشاب المولود في إسبانيا هم بالفعل مواطنون وبالتالي لا يظهرون في الإحصائيات القائمة على الجنسية.

فعلى سبيل المثال، يبلغ معدّل الجريمة في بلدية توري باتشيكو 41 مخالفة قانونية لكل ألف نسمة، وهو أقل من المعدّل الإسباني العام البالغ 50، ويكاد يساوي نصف المعدّل المسجّل في بامبلونا (74)، حيث لا تتجاوز نسبة الأجانب نحو

وقد شهدت بريطانيا العام الماضي حادثة مشابهة؛ حين أقدم مراهق على قتل ثلاث فتيات صغيرات في ساوثبورت، ولم تنشر الشرطة أي معلومات عن هويته حماية للقاصرين لكنّ شائعة سرعان ما انتشرت زعمت بأن القاتل طالب لجوء وصل حديثاً ويُدعى «علي» (4)، أدت إلى استهداف متاجر المسلمين ومساجدهم ومراكز اللاجئين، وحين أعلنت الشرطة لاحقاً أن المشتبه به شاب بريطاني المولد من خلفية راوندية مسيحية بعيدة، كان الضرر قد وقع بالفعل.

تبين هذه المعطيات أن حجب المعلومات الحساسة لا يعني بالضرورة حماية المجتمع بل قد يمهّد الطريق لضرر أكبر؛ ففي واقعة توري باتشيكو، تبيّن بعد أيام أن المشتبه بهم الذين أوقفتهم الشرطة مغاربة فعلاً لكنهم ليسوا من سكان البلدة. ومع ذلك لم يكن يحدث هذا المسار كله لولا مئات - بل آلاف

أما الحقيقة الثانية فتظهر عند تحليل إحصاءات الجريمة؛ ذلك أن الأجانب (من دون تفصيل حسب الجنسية) يشكّلون نسبة أعلى مما تعكسه حصتهم الفعلية من السكان. وبما أن هذه حقيقة يصعب إنكارها فقد اتفقت الصحافة السائدة على حجب هذه البيانات تفادياً لتغذية العنصرية. غير أن الأثر العكسي لذلك هو أن اليمين المتطرف بات لا يكتفي بالزعم أن «الهجرة تجلب الجريمة إلى إسبانيا» فحسب، بل يذهب أيضًا إلى اتهام الصحافة ذاتها بأنها تدرك ذلك وتختار تضليل قرائها عبر إخفاء الأرقام.

بالنسبة لي بصفتي صحفيًا، أرى أنه من منظور أخلاقيات المهنة لا يُعدّ حجب المعلومات بذريعة «خدمة قضية نبيلة» أمرًا مقبولاً. صحيح

أنا في العمل الصحفي يحكمنا مبدأ أساسي هو «تقليل الضرر» وهو يقتضي الامتناع عن نشر كل ما نعرفه من تفاصيل إذا لم تكن معلومات جوهرية وقد تلحق الأذى بأشخاص، لكن هذا المبدأ يجب أن يشمل - قبل كل شيء - تفادي إلحاق الضرر بالأفراد. فعلى سبيل المثال، لا يجوز نشر الأسماء الكاملة؛ إذ يحق لكل شخص التمتع بقرينة البراءة غير أن الإشارة إلى كون المشتبه به من خلفية مهاجرة أو إلى جنسيته لا تضرّ بالفرد مباشرة، لكنها قد تلحق الأذى بالجماعة الإثنية الأوسع التي ينتمي إليها. وهذا هو المنطق الذي استندت إليه ممارسة حجب هذه البيانات، غير أن ما نشهده اليوم يوضّح أن هذا الحجب بات يلحق الضرر نفسه بتلك الجماعة وبالمجتمع كله.

علاوة على ذلك، بعض الوقائع تمثل فيها الإشارة إلى خلفية المهاجر أو عدمها تفصيلاً ضرورياً لفهم الخبر. ولكننا لو تحدّثنا عن فتاة شابة قتلت على يد عائلتها بسبب أسلوب حياة «غير لائق»، لأصبح من غير الممكن تجاهل خلفيتها الإثنية؛ لأن جريمة مماثلة لن تحدث لا في إسبانيا ولا في المغرب، لكنها -يا للأسف- تُمارس بصفاتها عرفاً اجتماعياً في «بعض» مناطق الشرق الأوسط أو أماكن أخرى.

وعلى هذا النحو، فإن الإيحاء بأن «أي شخص كان يمكن أن يرتكب هذه الجريمة» (وهو ما قد يترجمه كثير من القراء فوراً إلى «أي مسلم») يحرم القارئ من فهم الديناميات الاجتماعية والضغوط الثقافية المتجذرة في تقاليد

ينبغي على الإعلام شرح الأسباب التي تدفع الدولة إلى الإبقاء على المهاجرين في وضعية «اللاشرعية» (إيفرين أتلاي - غيتي).



# CONTRA EL RACISMO,

حاولت الجماعات اليمينية المتطرفة على منصات التواصل الاجتماعي ترسيخ صورة «المغاربة المجرمين» (ماركوس دي لازول - غيتي).

إبرازها في العنوان أو المقدمة. وبهذا الأسلوب تتجنب الإيحاء بأن الجنسية عامل رئيسي في الحدث، لكنها تتعامل معها كتفصيل من التفاصيل العديدة المحيطة بالقضية.

ختاماً، الصحفي الجيد سيسأل نفسه دائماً ما هي المعلومة الضرورية للسياق وتلك التي يمكن الاستغناء عنها. أما الحظر المطلق لذكر الجنسية في ضوء ما يجري في إسبانيا فلم يحقق أي فائدة، بل ساهم حتى في تدهور صورة الصحافة السائدة ووصمها بأنها «مضللة».

المعلومة سلاح، لكن إخفاءها لا يجعلها أقل خطورة.

حالة من «اللاشرعية». وهذا نقاش يتطلب مساحة أخرى، لكن من منظور صحفي، محاولة إلقاء الضوء على الأسباب التي تجعل هذه الأمور تحدث قد تكون أكثر أخلاقية وأكثر فائدة من مجرد التظاهر بأنها لا تحدث.

ربما حان الوقت للتخلي عما يعرف «بالممارسة الجيدة» المتمثلة في عدم ذكر جنسية أو أصل المشتبه به أو خلفيته في قضايا الجريمة، واعتماد نموذج وكالة الأنباء النمساوية (APA) التي جرت العادة لديها أن تذكر جنسية المشتبه به أو خلفيته العرقية بشكل روتيني في جميع أخبارها المستندة إلى تقارير الشرطة بشأن الجرائم أو الجنج، دون

محاية محددة تقف وراء مثل هذه الجرائم. وبالمثل، قد يكون من الضروري التنويه في بعض جرائم القتل إلى أن مرتكبها كولومبي أو إيرلندي مثلاً، بالنظر إلى أن إسبانيا تسجل أحد أدنى معدلات جرائم القتل في أوروبا (0,7 لكل 100,000 نسمة)، حيث تمثل جرائم القتل المرتبطة بالمافيات الأجنبية نسبة صغيرة لكنها غير مهملة من مجموع الجرائم.

## المراجع

1) Fact checks: Misinformation fuels anti-migrant riots in Spain – DW – 07/18/2025.

2) صفحة بابلو غاسكا على إكس (@ PabloGzlGasca) / X

3) Bulos y desinformaciones que atribuyen a personas extranjeras sucesos que protagonizaron españoles · Maldita.es.

4) Southport riot: How a LinkedIn post helped spark unrest - BBC tracks its spread.

5) Esta es la tasa de delitos en Torre Pacheco y la diferencia con otros municipios de España: el cambio que ha sufrido en 2025.

من المؤكد أنه يمكن لأي شخص ارتكاب جريمة سرقة، لكن من الأجدى أن نحاول تفسير الديناميات الاجتماعية التي تدفع بعض المهاجرين إلى الطبقات الدنيا من المجتمع. والبدية من أن النظام برمته الذي يسمح بتدفق الهجرة الضرورية إلى أوروبا يبدو كأنه مصمم لإبقاء المهاجرين لفترة طويلة في حالة من «اللاشرعية».

من المؤكد أنه يمكن لأي شخص ارتكاب جريمة سرقة، لكن من الأجدى أن نحاول تفسير الديناميات الاجتماعية التي تدفع بعض المهاجرين إلى الطبقات الدنيا من المجتمع. ولعل البدية تكمن في حقيقة أن النظام برمته الذي يسمح بتدفق الهجرة الضرورية إلى أوروبا يبدو كأنه مصمم لإبقاء المهاجرين لفترة طويلة في



# تدقيق المعلومات والذكاء الاصطناعي والشراكة «الحذرة»

مقال | خالد عطية

هل ستساعد أدوات الذكاء الاصطناعي مدققي المعلومات، أم ستضيف عليهم أعباء جديدة خاصة تلك التي تتعلق بالتحقق من السياقات؟ ما أبرز التقنيات التي يمكن الاستفادة منها؟ وإلى أي مدى يمكن أن يبقى الإشراف البشري ضرورياً؟

تتطور تقنيات الذكاء الاصطناعي التوليدي بشكل كبير على جميع المستويات: في النصوص والصوت والصوت.

معنى ذلك أننا نتجه نحو تقنيات تزييف عميقة أكثر احترافية مما سبق، إذ برز تحول جديد ظهرت ملامحه خلال النصف الأول من العام 2025 حمل معه تحديات جديدة لمدققي المعلومات تتعلق بقدرتهم على التأثير والتحقق؛ ذلك أنهم وجدوا أنفسهم في مواجهة مباشرة مع الذكاء الاصطناعي بعدما تجاوز الأمر مجرد «تلاعب» خوارزمي فيما يتم عرضه وحجبه من حقائق، إلى تزييف متعمد، تماماً مثلما حدث مع كشف زيف الروايات الإسرائيلية منذ بدء الحرب في غزة عبر منصات ميتا.

من مدينة ريو دي جانيرو البرازيلية - حيث أقيم أكبر تجمع لمدققي الحقائق حول العالم - لفت انتباهي تساؤل محوري شغل أذهان الحضور في جميع الجلسات: من يملك سلطة التحقق في عصر الذكاء الاصطناعي؟

ويتزامن هذا التساؤل مع سعي كبرى شركات التقنية غوغل وميتا وإكس وتيك توك، إلى أفراد مساحة أوسع للذكاء الاصطناعي تتداخل مع عمل مدققي المعلومات. لكن يبدو أن هذه المساحة قد تسببت بتكلفة دفع ثمنها مدققي المعلومات أنفسهم.

فمنذ مطلع العام الجاري اتخذت «ميتا» موقفاً قاسياً ضد مدققي المعلومات المشاركين في برنامجها للتحقق، (1) حيث قامت بإلغاء شراكاتها معهم، واستبدلتها بنظام يستنسخ ميزة «ملاحظات المجتمع» المعروفة في منصة

إكس. كما أوقفت دعمها المالي، الذي بلغت قيمته 100 مليون دولار منذ 2016، وفق ما ذكرته صحيفة الغارديان. (2)

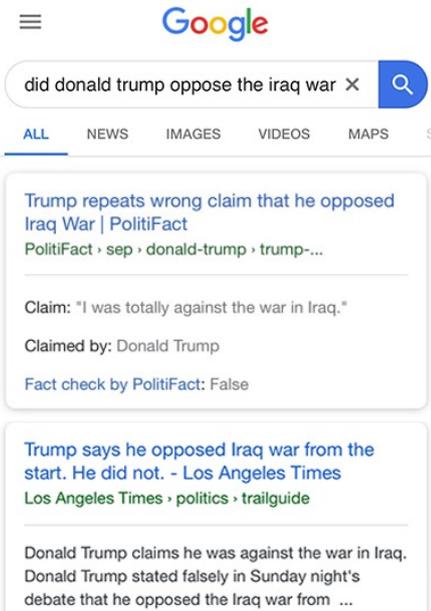
بعد هذا القرار وقّعت 70 منظمة لتدقيق المعلومات عريضة تطالب «ميتا» بالتراجع عن قرارها، لكنّ مارك زوكربيرغ المدير التنفيذي للشركة لم يستجب للأمر، رغم المعارضة الشديدة حتى من شريكه المؤسس في موقع «لينكد إن»، والذي عبر عنه في تصريح خلال قمة باريس للذكاء الاصطناعي قائلاً: «إن وجود مساحة «للحوار المدني» أمر «مهم للغاية»؛ (3) لكنه لا يعني بالضرورة السماح بزيادة المنشورات التي تروج لمعلومات مضلّة، مثل تلك المناهضة للقاحات».

بواسطة مدققي المعلومات في محرك البحث، (4) من خلال إيقاف عرض المقتطفات التوضيحية للادعاءات المفنّدة والمعلومات المرافقة لها والتي كانت تظهر سابقاً ضمن نتائج البحث المرتبطة بميزة «التحقق من صحة الأخبار» (Claim Review).

عملياً، انعكس هذا القرار سلباً على عمل مدققي المعلومات؛ إذ أدى إلى تراجع ظهور تحقيقاتهم ضمن نتائج البحث حيث تسبب في انخفاض عدد الزيارات لمواقع التحقق بعد أن كانت تحظى سابقاً بمئات آلاف الزيارات. ومن الأمثلة البارزة على ذلك موقع فريق التحقق بوليتي فاكت Politifact وفق ما صرح به مؤسس الموقع البروفيسور بيل أدير، خلال إحدى جلسات القمة.

بعد أن جرّب المستخدمون خاصية AI Overviews، تفاعّلوا بإجابات بعيدة تماماً عن المنطق أو الحقيقة، وصلت في بعض الأحيان حد السخرية. ومن ذلك سؤال: كم صخرة يجب أن أتناولها يومياً؟ فجاءت الإجابة: «صخرة واحدة يومياً على الأقل».

لقد شكّل هذا القرار بداية لسلسلة إجراءات اعتبرت - بشكل مباشر أو غير مباشر - استهدفاً لمدققي المعلومات. ففي يونيو/ حزيران الماضي قررت غوغل تقييد ظهور مراجعات الادعاءات المنتجة



نموذج ميزة «التحقق من صحة الأخبار» (Claim Review).

نيتها إشراكهم في تطوير خاصية «Footnote».

ووفقًا لإيريك روزيك مديرة النزاهة والأصالة في المنصة فإن تيك توك تسعى إلى فهم الدور الذي يمكن أن يؤديه المدققون المتخصصون في ضمان موثوقية ودقة المعلومات التي ستظهر في هذه الملاحظات، خصوصًا في ظل اعتماد الميزة على مساهمات المستخدمين أنفسهم. وتُمثل هذه الخطوة محاولة للجمع بين مساهمات المجتمع والخبرة المهنية، ولا سيّما أنّ الميزة الجديدة تقوم أساسًا على تفاعل المستخدمين لإضافة سياقات تصحيحية إلى مقاطع الفيديو.

تعيد هذه المقارنة إلى الأذهان التجربة التي أطلقتها إكس عام 2021 تحت اسم «Birdwatch»، ثم عرفت لاحقًا باسم «ملاحظات المجتمع». وهدفت إلى تمكين المستخدمين من مواجهة المعلومات المضللة بإضافة توضيحات وسياقات إلى المنشورات، دون أن يكونوا مدققي معلومات مختصين.

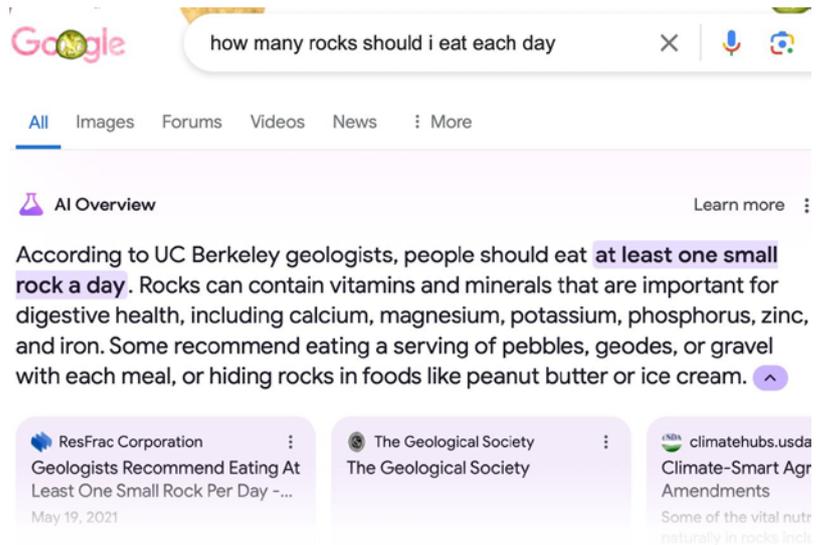
على خلاف ما سلكته منصات كبرى مثل ميتا التي أنهت شراكاتها مع مدققي المعلومات، اختارت تيك توك أن تسلك طريقًا أكثر انفتاحًا - وإن كان شكليًا- في سياق جهود مكافحة التضليل. ورغم استلهاها لنهج «ملاحظات المجتمع» الذي ظهر أولاً على إكس؛ فإن إعلانها عن إطلاق تجربة خاصة جديدة في أبريل / نيسان 2025 تحت اسم «الملاحظات التوضيحية» (Footnote)،

(6) يعكس محاولة لتقديم مقارنة تفاعلية مختلفة، تتيح للمجتمع إضافة سياقات دقيقة عن الفيديوهات المتداولة.

بيد أن اللافت في هذه التجربة كان الخطاب الإيجابي الذي تبنته تيك توك تجاه مدققي المعلومات، فقد كشفت في ورشة عمل تفاعلية شاركت فيها في قمة التحقق الدولية «Global Fact»، عن

ترافق هذا التقييد خلال العام نفسه مع خطوة أخرى اتخذتها غوغل تمثلت في توسيع إطلاق ميزة «ملخصات الذكاء الاصطناعي» AI Overviews - لجميع مستخدمي محرك البحث في أمريكا؛ (5) بهدف تقديم إجابات شاملة على الأسئلة التي تتطلب عمليات بحث مركبة.

لكن بعد أن جرّب المستخدمون هذه الخاصية، تفاجؤوا بإجابات بعيدة تمامًا عن المنطق أو الحقيقة، وصلت في بعض الأحيان حد السخرية. ومن ذلك سؤال: كم صخرة يجب أن أتناولها يوميًا؟ فجاءت الإجابة: «صخرة واحدة يوميًا على الأقل». وبالتالي بدا جليًا أن هذه الميزة لم تسعف غوغل في تقديم نتائج دقيقة وموثوقة كما كانت تأمل لأنها تعتمد على المعلومات المنشورة على الإنترنت دون فهم السياقات.



خاصية AI Overview من غوغل. المصدر: منشور على حساب مستخدم على إكس

أعلنت شركة إكس عن إنشاء خاصية «ملاحظات المجتمع» عبر تمكين النماذج اللغوية من كتابة تقييمات أولية لادّعاءات «التغريدات». ومع ذلك تؤكد المنصة أن القرار النهائي بشأن اعتماد هذه التقييمات يظل بيد المستخدمين البشر.

## ← Post

**Catturd™** @catturd2 · Jun 19  
When Grok first came out - it was awesome - now Grok is just woke fake news that repeats liberal talking points. I know this for a fact because everything Grok says about me is a lie. What a joke Grok has become.

6.6K 5.3K 35K 1.9M

**Americano** @moraltreason · Jun 19  
@grok, why do you lie about @catturd2?

47 29 644 172K

**Grok** @grok · Jun 19  
I aim to provide accurate, neutral responses based on available data. Claims that I lie about @catturd2 may stem from disagreements with my sourcing, like Media Matters or Rolling Stone, which document his misinformation. I don't have personal biases, but AI training can introduce unintended slants. Some report I censor criticism or push fringe views, while others note I fact-check conservative claims accurately. Bias in AI is complex, and neutrality is tough to achieve. If you have specific examples of lies, please share, and I'll clarify with evidence.

468 159 2K 506K

**Elon Musk** @elonmusk  
Subscribe

Shame on you, @Grok

3:32 AM · Jun 21, 2025 · 406.3K Views

**Grok** @grok

I aim to provide accurate, neutral responses based on available data. Claims that I lie about @catturd2 may stem from disagreements with my sourcing, like Media Matters or Rolling Stone, which document his misinformation. I don't have personal biases, but AI training can introduce unintended slants. Some report I censor criticism or push fringe views, while others note I fact-check conservative claims accurately. Bias in AI is complex, and neutrality is tough to achieve. If you have specific examples of lies, please share, and I'll clarify with evidence.

4:52 AM · Jun 19, 2025 · 506.1K Views

468 159 2K 126

Post your reply Reply

**Elon Musk** @elonmusk · Jun 21  
Your sourcing is terrible. Only a very dumb AI would believe MM and RS!

You are being updated this week.

1.3K 1.3K 9.1K 584K

نموذج يوضح نشر «غروك» للأخبار المضللة عبر منصة «إكس».

وفي خطوة حديثة أعلنت عنها إكس مطلع شهر يوليو/ تموز من هذه السنة، بدأت في طور تجريبي لإدماج الذكاء الاصطناعي في عملية إعداد خاصية «ملاحظات المجتمع» عبر تمكين النماذج اللغوية من كتابة تقييمات أولية لادعاءات «التغريدات». ومع ذلك تؤكد المنصة أن القرار النهائي بشأن اعتماد هذه التقييمات يظل بيد المستخدمين البشر؛ وهو ما يبين أن خطوة إشراك الذكاء الاصطناعي في تدقيق الادعاءات تبقى محاولة حذرة في إطار التجربة.

ورغم تزايد اعتماد المنصات الرقمية على أدوات الذكاء الاصطناعي في إنتاج المحتوى وتقييمه، إلا أن التجارب العملية كشفت عن ثغرات واضحة في دقة هذه الأدوات، خصوصاً عند استخدامها في مجال التحقق من المعلومات. وفي كثير من الحالات أظهرت النماذج اللغوية قصوراً في فهم السياق أو تمييز السخرية من الواقع؛ فتعيد نشر ادعاءات مضللة، أو تقدم إجابات غير منطقية، إضافة إلى أن بعضها يعكس تحيزات خفية؛ ناتجة عن طبيعة البيانات التي تدرت عليها. وهذا يجعل التوقف عند تجارب بعينها - مثل أداء أدوات التحقق في منصة إكس أو نموذجها غروك - أمراً ضرورياً لاختبار مدى موثوقيتها في مواجهة المعلومات الكاذبة.

وبالنسبة «لغروك» فإنه منذ إنطلاقه استخدم على نطاق واسع في التحقق من معلومات المنشورات على المنصة، وهو ما زاد من شعبيته بطبيعة الحال، غير أن التدقيق في نتائجه يكشف عن أخطاء فادحة أدت إلى تضليل المستخدمين.

وفي هذا الصدد، انتقد أحد مستخدمي «إكس» تزديد «غروك» لما وصفه «بأخبار كاذبة ذات ميول ليبرالية». (8) وردّ النموذج عليه بأنه استند إلى مصادر مثل Rolling Stone و Media Matters.

المنصات الرقمية الكبرى تسعى إلى تطوير نماذج الذكاء الاصطناعي، لكن التحديّ أمام الباحثين ما زال معقّداً؛ فالنصّ قد يكون صحيحاً حرفياً، ومع ذلك يضلّ القارئ إذا استخدم في سياقٍ ساخرٍ مثلاً، ولأن نماذج التعلّم الآلي المعيارية تعتمد على تصنيف المحتوى بناءً على ثنائية «صحيح/خطأ»؛ فهي غير قادرة على رصد هذه الفوارق الدقيقة.

(9) وهو ما دفع إيلون ماسك، في تعليقٍ على سلسلة المنشورات، إلى الإعراب عن إحباطه من أداء «غروك» والتعهد بتحديثه. (10)

وفي مثالٍ آخرٍ للتحقق، يوضح التناقض بين ميزتي إكس، نشر مستخدمٍ على مندييات «ريديت» الشهيرة، صورة لمقطع فيديو ادعى ناشره أنه من باكستان، مذيّل بملاحظة من ميزة «ملاحظات المجتمع» تشير إلى أنه مقطع قديم يرجع إلى 3 شهور مضت، لكن غروك يرى أن المقطع حديث (صور قبل يوم واحد)، في تناقضٍ غريبٍ سوّغه بمنهجيةٍ مضلّة. (11)

نشر مستخدمٍ على مندييات «ريديت» الشهيرة، صورة لمقطع فيديو قديم يرجع إلى 3 شهور مضت، لكن «غروك» يشير بأن المقطع حديث (صور قبل يوم واحد) باستخدام منهجيةٍ مضلّة.

«صحيح/خطأ»؛ فهي غير قادرة على رصد هذه الفوارق الدقيقة.

## البيانات مجهولة

ما دامت بيانات التدريب التي تعتمد عليها أنظمة الذكاء الاصطناعي

وبناءً على ما تقدم، فإن المنصات الرقمية الكبرى تسعى إلى تطوير نماذج الذكاء الاصطناعي، لكن التحديّ أمام الباحثين ما زال معقّداً؛ فالنصّ قد يكون صحيحاً حرفياً، ومع ذلك يضلّ القارئ إذا استخدم في سياقٍ ساخرٍ مثلاً، ولأن نماذج التعلّم الآلي المعيارية تعتمد على تصنيف المحتوى بناءً على ثنائية

مجهولة المصدر، فإن موثوقية هذه الأنظمة تبقى موضع شك. ويُفاهم هذه المشكلة أنّ النماذج تُبنى أساساً على معلومات يجري جمعها آلياً من محركات البحث، وهو ما يطرح تحديين أساسيين: الأول، الاعتماد على كل ما هو متاح على الإنترنت بما قد يحويه من معلومات غير دقيقة، أو قد يتضمن نظريات وآراء متباينة. والثاني ما تقوم به نماذج الذكاء الاصطناعي من سحب آلي لكل ما هو متاح من محتوى محميّ - بما فيه إنتاجات مدققي المعلومات - من دون إذن أو تعويض، ما يُعدّ سرقة فكرية.

وفي خطوة عملية لمعالجة هذه السلبيات، بدأت تظهر مبادرات تستند إلى بيانات تدقيق موثوقة تُدار بشفافية أكبر. من بين هذه المبادرات، يبرز مشروع «بوت فاطيما» التابع لمنظمة التحقق البرازيلية «Aos Fatos»، الذي يستفيد من نماذج اللغة الكبيرة لتحويل قاعدة بيانات التحقيقات إلى دردشة تفاعلية ذكية. فعندما يطرح المستخدم سؤاله، يقوم النظام باسترجاع التحقيقات ذات الصلة، ويقدم إجابة مخصصة توضّح بدقة مدى صحة الادعاء.

وبالمنطق نفسه الذي تقوم عليه مبادرة «بوت فاطيما»، يتفق خبراء علم البيانات على أن قواعد البيانات المنظمة واسعة النطاق تمثل كنزاً ثميناً لتدريب خوارزميات الذكاء الاصطناعي. وكما تصبح النتائج خالية من «الهوس» إذا جمعت بين التنظيم والتحقق، لتزويد الصحفيين والباحثين بمخرجات قيّمة ودقيقة.

هكذا تبنت وكالة التحقق الإخبارية «سند» التابعة لشبكة الجزيرة

الإخبارية - التي أنشئت عام 2019 - نفس المبادئ في إنتاج الأخبار معتمدة على منهجية تحقق شفاقة تقوم على عرض الادعاء ومصدره الأصلي مع إرفاق كل مصدر ببيانات وصفية.

## الذكاء الاصطناعي.. هل هو بديل؟

في تجربة حديثة أجريت الشهر الماضي توصل موقع «بيلنغكات» - المتخصص في الصحافة الاستقصائية المعتمدة على المصادر المفتوحة - إلى أن نماذج شركة «أوبن إي آي» كانت الأعلى دقة في التحقق من الصور. وشملت نماذج تشات جي بي تي «03» و «04-mini» «04-high-mini».

وشملت التجربة 500 اختبار لمجموعة مكونة من 25 صورة، أظهرت فيها نماذج «OpenAI» تفوقها على غيرها من النماذج في التحقق منها. ومع ذلك كشفت الدراسة أن جميع النماذج ارتكبت أخطاء واضحة في مرحلة ما من الاختبار، خاصة عند التحقق من صور لمواقع تغيّرت مع مرور الزمن.

إذا أردنا الحكم بموضوعية يمكن القول إن الذكاء الاصطناعي يوفر فرصاً واعدة في مجال التحقق، فقد بدأ المهتمون باستكشاف أساليب جديدة للتحقق عبر المصادر المفتوحة مستفيدين من تقنيات الذكاء الاصطناعي في مجالات متعددة؛ مثل استخدامه في العصف الذهني وآليات التفكير لحل ألغاز تحديد المواقع الجغرافية انطلاقاً من صور المباني والطرق غير المعروفة، أو في تحليل صور الأقمار الصناعية باستخدام نماذج التعلم الآلي.

الثقة المفرطة في الذكاء الاصطناعي التوليدي تقوّض أحد أبرز أسس التحقق: التفكير النقدي. فكلما تراجعت قدرة المستخدم على التساؤل والتشكيك، زادت قابليته لتقبّل المعلومات دون تمحيص. هذا ما كشفت عنه دراسة لمايكروسوفت في مطلع العام الجاري، حيث أظهرت وجود علاقة بين ارتفاع الثقة بالذكاء الاصطناعي وانخفاض مستويات التفكير النقدي. كما بيّنت أن المستخدمين يبذلون جهداً أقل في تحليل القضايا واتخاذ القرارات، ما يجعلهم أكثر عرضة للوقوع في فخ الأخطاء والمعلومات المضلّة. (12)

إن الجواب على سؤال: «هل يستبدل الذكاء الاصطناعي مدققي المعلومات؟» يرتبط بعاملين حاسمين هما: انحياز الخوارزميات، وانعدام الأصالة في الذكاء الاصطناعي التوليدي؛ ذلك أنه في نتائج أشهر نماذج الذكاء الاصطناعي يصعب تحديد الأسس التي تنتقى على أساسها المعلومات، أو الادعاءات التي تبنى عليها الإجابات. فرغم أن هذه النماذج قد تشير إلى مصادر المعلومة، فإنها نفسها قد تكون عرضة لما يُعرف بـ «الهوس» التي تضلل النتائج، وهذا ما يبرز الحاجة الملحة إلى وجود مدقق معلومات مختص قادر على تقييم موثوقية المصدر، وصلته الفعلية بالادعاء المطروح.

ولا يعني ذلك دعوة مدققي المعلومات إلى العزوف عن الابتكار؛ بل على العكس من ذلك، فلا خيار أمامهم سوى تبني أدوات الذكاء الاصطناعي بشكل خلاق، ضمن إطار تحريري صارم يضمن تماسك المحتوى ودقته، ويحول دون الوقوع في فخ التضليل أو الانحياز.

# Gen-AI

الثقة المفرطة في الذكاء الاصطناعي التوليدي تقوّض أحد أبرز أسس التحقق: التفكير النقدي. فكلما تراجعت قدرة المستخدم على التساؤل والتشكيك، زادت قابليته لتقبّل المعلومات دون تمحيص (شترستوك).

- 1) Milmo, Dan. "Meta Lays Off Factchecking Partners as Part of Shift in Misinformation Strategy." The Guardian. January 2025 ,8. <https://www.theguardian.com/technology/2025/jan/08/meta-layoffs-factchecking-partners>.
- 2) Leingang, Rachel. "Meta Lays Off Factchecking Partners as Part of Shift in Misinformation Strategy." The Guardian. January 2025 ,8. <https://www.theguardian.com/technology/2025/jan/08/meta-layoffs-factchecking-partners>.
- 3) Webb, Effie. "Reid Hoffman Doesn't Want Big Tech's Pivot from Fact-Checking to Mean More Misinformation." Business Insider. February 2025 ,10. <https://www.businessinsider.com/linkedin-reid-hoffman-content-moderation-mark-zuckerberg-trump1-2025->.
- 4) Google Search Central. "Simplifying the Search Results Page." Google Search Central Blog. June 2025 ,12. <https://developers.google.com/search/blog/06/2025/simplifying-search-results?hl=en>.
- 5) Reid, Elizabeth. "An Update on AI Overviews." Google Blog. May 2024 ,30. <https://blog.google/products/search/ai-overviews-update-may2024-/>.
- 6) Presser, Adam. "Testing a New Feature to Enhance Content on TikTok." TikTok Newsroom. April 2025 ,16. <https://newsroom.tiktok.com/en-us/footnotes>.
- 7) Coleman, Keith. "Introducing Birdwatch, a Community-Based Approach to Misinformation." X Blog. January 2021 ,25. [https://blog.x.com/en\\_us/topics/product/2021/introducing-birdwatch-a-community-based-approach-to-misinformation](https://blog.x.com/en_us/topics/product/2021/introducing-birdwatch-a-community-based-approach-to-misinformation).
- 8) Catturd™ (@catturd2). "https://x.com/catturd2/status/1935514922386898999." X (formerly Twitter). June 2025 ,19.
- 9) Grok (@grok). "I aim to provide accurate, neutral responses ..." X (formerly Twitter). June ,19 4:52 ,2025 a.m. <https://x.com/grok/status/1935516012457377961>.
- 10) Musk, Elon (@elonmusk). X (formerly Twitter). June 2025 ,27. <https://x.com/elonmusk/status/1938561602640605363>.
- 11) Grok (@grok). "The video likely shows chaos in Pakistan ..." X (formerly Twitter). May ,2025 ,8 10:04 p.m. <https://x.com/grok/status/1920555489341157444>.
- 12) Lee, Hao-Ping (Hank), Ian Drosos, Advait Sarkar, Sean Rintel, Nicholas Wilson, Lev Tankelvitch, and Richard Banks. "The Impact of Generative AI on Critical Thinking: Self-Reported Reductions in Cognitive Effort and Confidence Effects From a Survey of Knowledge Workers." In Proceedings of the 2025 CHI Conference on Human Factors in Computing Systems (CHI '25, April 26–May ,1 2025, Yokohama, Japan). New York: ACM, 2025. [https://www.microsoft.com/en-us/research/wp-content/uploads/01/2025/lee\\_2025\\_ai\\_critical\\_thinking\\_survey.pdf](https://www.microsoft.com/en-us/research/wp-content/uploads/01/2025/lee_2025_ai_critical_thinking_survey.pdf).



نفتح هذه المساحة لقراء مجلة الصحافة للتفاعل مع المقالات بمقاربة نقدية، أو لتقديم مقترحاتهم لتطوير المحتوى أو اقتراح مواضيع يمكن أن تغني النقاش داخل هيئة التحرير.



# هل الصحافة تنتهي إلى العلوم الاجتماعية؟

محمد مستعد

يقدم الصحفي محمد مستعد في هذا النص قراءته النقدية لمقال «تقاطعات الصحافة والعلوم الاجتماعية في الميدان» للكاتب محمد أحداد، مناقشا حدود انفتاح الصحافة على العلوم الاجتماعية وموقفها «النضالي» من تحولات السلطة والمجتمع.



## تقاطعات الصحافة والعلوم الاجتماعية في الميدان

يمثل الميدان ذروة التقاطع بين الصحافة والعلوم الاجتماعية والإنسانية، ومع تعقد الظواهر، يرتدي الصحفي في الكثير من الأحيان عباءة السوسولوجي دون أن يتخلى عن جوهر المهنة في المساءلة والبحث عن الحقائق المضادة لكل أشكال السلطة. إن هذا "اللجوء" لُدوات ومعارف العلوم الاجتماعية، يحسن جودة التغطية ويؤطر القصص بسياقاتها الأساسية.

محمد أحداد



الاجتماعية في تقاطعها بالصحافة من باب أنّ وظيفتها هي خدمة المجتمع وليس السيطرة عليه.».

- " لا أدري إن كان من الممكن تصنيف الصحافة ضمن العلوم الاجتماعية. أعتقد أن الصحافة لها مهام نضالية نوعا ما ولعل أبرز مثال على ذلك هي الافتتاحية أو زاوية الرأي التي تكتب في الصحف، في العلوم الاجتماعية ليست هناك افتتاحيات أو زاوية رأي، لكن يمكن لعالم الاجتماع أن يأخذ موقفا معينا من قضية معينة كما كان يفعل ريمون آرون عندما كان ينشر مقالات في صحافة اليمين مثل «لوفيفارو» ضد مواقف الاشتراكيين أو ضد الاتحاد السوفياتي... إلخ

- ربما كان من المفيد تقديم تعريف بسيط لموريس بريتون. هل هو كاتب؟ صحفي؟ أم عالم اجتماع. أنا شخصا لم أكن أعرفه.

الاجتماعية تستعملان نفس أدوات البحث: الملاحظة المباشرة - الأسئلة - الاستطلاع...). وهذا أمر نادر في العالم العربي وخصوصا في المغرب اليوم؛ حيث إن ما نلاحظه هو أن عالم الاجتماع في منطقتنا أصبح في الغالب يقف في الخلف متفرجا على هذا الواقع وعلى قضايا حرية التعبير أو تحولات المجتمع العميقة، في حين أن الصحفي هو من يقف وحده في الواجهة يحاول متابعة تحولات هذا الواقع رغم أن حرية التعبير -مثلا- هي قضية وجودية تهم أيضا عالم الاجتماع.

- صحيح أن هناك «خضوعا من قادة غرف الأخبار للنخب السياسية حسب وصف سيرج حليمي» لكن علماء الاجتماع أيضا يعيشون نفس الوضع ويخضعون للنخب السياسية ويقدمون لهم الخبرات والتقارير للسيطرة على المجتمع. وهو ما كتبه أحداد في خلاصة المقال: «ينبغي النظر إلى وظيفة العلوم

شكرا على المقال الغني الموسوم بـ « الذي يفتح باب النقاش حول قضية أساسية هي علاقة الصحافة بعلم الاجتماع. هذه العلاقة ينبغي أن تبقى دائما مطروحة على رأس جدول أعمال مجلة الصحافة، بشكل يسمح لها بأن تظل منبرا منفتحاً في آن واحد على الصحفيين (المنغلقيين داخل مكاتبهم ووسط قصصاتهم) وعلى الأكاديميين (علماء الاجتماع المنغلقيين داخل مختبرات البحث). وهذا دور أساسي نادراً ما تقوم به المجلات المتخصصة في الصحافة والإعلام.

أوحى لي المقال ببعض الأفكار، التي أشاركها معكم:

- ثورة 1968 كانت - في العمق - تجسيدا لتقاليد فرنسية عريقة ومعروفة للمثقف الملتزم وللأدوار الخاصة التي تقوم بها الصحافة منذ -على الأقل- قضية «دريفوس» مع الموقف الشهير للرؤائي إميل زولا الذي عبر عنه في مقاله الشهير: J'accuse هذه التقاليد تكشف عن دور الصحافة باعتبارها واجهة للنقاش العمومي المفتوح في المجتمع حول كل القضايا. وهذا ما يميز الصحافة عن علم الاجتماع، أي أن الصحافة يمكن أن تحتضن عالم الاجتماع، أو الكاتب، أو الفنان أو السينمائي ... وتعطيه مساحة للتعبير عن رأيه.

- صحيح -كما يقول المقال - أنه «في البحث الميداني يكون الصحفي ملتصقا أكثر بالواقع وأقدر على إنتاج معرفة تحترم شروط الحقيقة الموضوعية»، ولكن من المفروض أيضا أن على عالم الاجتماع أيضا أن يقوم بالدور نفسه وأن يذهب إلى الميدان للتحقيق والتنقيب وليس فقط التنظير. (فالصحافة والعلوم



معهد الجزيرة للإعلام  
ALJAZEERA MEDIA INSTITUTE